مقدمة

صدرت في الآونة الأخيرة مجموعة من الدراسات والأبحاث حول منطقة تادلا والأطلس الأوسط[1] أضيفت إلى ما كتب خلال الفترة الاستعمارية. كما قام بعض الباحثين بترجمة بعض مصادر هذه الفترة الأخيرة لما تتضمنه من معلومات متنوعة من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية[2].

هكذا تم إلقاء الضوء على تاريخ المنطقة رغم أن الكثير من القضايا لا زال يشوبها الغموض، حيث لم يتم لحد الساعة استغلال جميع الوثائق الموجودة بمختلف دور الأرشيف سواء الوطنية أو الأجنبية لانجاز دراسات حول منطقة تادلا والأطلس الأوسط، أي تاريخ السهل والجبل المتصلين

---

[1]. بالإضافة إلى المقالات المنشورة بكلية الآداب والعلوم الانسانية ببني ملال والتي خصص الكثير لتاريخ المنطقة، أنجزت دراسات من طرف بعض الباحثين الأجانب والمغاربة حول قبائل المنطقة وزواياها. ونذكر على سبيل المثال لا الحصر دراسة بوسلام حول قبيلة بني ملال، عربوش حول تادلا وأبي القاسم الصومعي، بوكاري حول الزاوية الشرقاوية، إرنست كلنير حول صلحاء الأطلس، مورسي ماكالي حول الزاوية الحنصالية...الخ. انظر لائحة المصادر والمراجع

[2]. القبطان سعيد كنون، الجبل الأمازيغي. آيت أومالو وبلاد زيان، تعريب محمد بوكبوط، الرباط، 2014 ، كيوم، أوغسطين ليون، البربر المغاربة وتهدئة الأطلس المركزي (1912-1933)، ترجمة وتقديم محمد العروصي، بني ملال، 2016.

والمندمجين عبر علاقات تكاملية وأحيانا تنافرية، ليس فقط بين سكان المجالين ولكن كذلك مع السلطة سواء المحلية أو المركزية وكذا مع الغزاة.

إن تاريخ المنطقة، بأراضيها السهلية المنبسطة وديرها المتدرج وجبالها المرتفعة، ينبثق من طبيعتها الثابتة وحركية ساكنتها عبر الزمن، أشكالا متعددة على مختلف المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تبعا لمختلف الظروف التاريخية. ومن هنا الضرورة المنهجية لرصد الاستمراريات والقطائع أثناء عمليات البحث بالاعتماد على مختلف أنواع المصادر.

تشكل تادلا والأطلس الأوسط بحكم موقعهما الجغرافي مجالين نموذجيين للدراسة بحكم اتصالهما الجغرافي عبر منطقة الدير واختلاف ظروفهما الطبيعية وتنوعهما الاثني واللغوي. ويتكونان من منطقة هضبية وسهول رسوبية والدير وسلاسل جبال الأطلس المتوسط والأطلس الكبير. وبهذا فهي تضم أربع وحدات جغرافية لكل واحدة منها خصائص ومميزات.

الهضاب الشمالية والشمالية الغربية: تتميز هذه المنطقة بضعف غطائها النباتي وقلة التساقطات مما يجعلها منطقة جافة تنعدم فيها الأنهار باستثناء بعض العيون والأودية التي تصبح أحيانا جارفة بفعل السيول خلال فصل الشتاء. ويستقر بها القبائل التالية: بني زمور ووردیغة والسماعلة وبني

خيران وأولاد عبدون. وهي قبائل عربية[1] تنحدر، حسب المصادر، من بني جابر المستقدمين إلى المنطقة من طرف يعقوب المنصور الموحدي خلال القرن الثالث عشر الميلادي. "وتعرف هذه المنطقة لدى المخزن المركزي خلال القرن التاسع عشر بتادلا رتمة ويميز سكانها عن غيرهم من سكان تادلا بأهل رتمة أو الرتميين وتسمى أيضا تادلا العليا" [2].

السهول الرسوبية: تشكلت سهول تادلا من مختلف الرواسب التي حملتها الأنهار والأودية من المنطقة الجبلية، وأهمها واد أم الربيع الذي تمتد على ضفتيه سهولا خصبة استغلها السكان لزراعة الحبوب وخاصة القمح والشعير، ورعي قطعان الماشية. ويستوطن السهول الرسوبية لتادلا عددا من

---

[1]. عندما انتقل الفاطميون إلى مصر، رفض الزيريون بالقيروان والحماديون بالقلعة سلطة الفاطميين. وللانتقام أرسلوا القبائل العربية المستقرة في مصر العليا، بنو هلال وبنو سليم وبنو معقل إلى المنطقة الغربية بشمال افريقيا. فتعرضت تونس والجزائر لاجتياح بدوي، أطنب ابن خلدون في وصفه. وعندما شرع عبد المومن مؤسس الدولة الموحدية في غزو افريقية (تونس) اصطدم أثناء رجوعه من غزوته الأولى بالقبائل العربية، وهزمهم في سطيف سنة 1050 م، واستعمل بعضهم في الجهاد بالأندلس.إلا أن القبائل العربية انظمت إلى الزعماء المرابطين القادمين من جزر البليار، بنو غانية الذين استمرت ثورتهم ضد الموحدين زهاء ثلاثين سنة. فقرر الخليفة يعقوب المنصور نقل عددا من القبائل إلى المغرب لإضعاف قوتهم ومن بينهم بنو جابر الذين تم توطينهم في تادلا. وتفرعت من بني جابر مجموع القبائل العربية المستقرة بهضاب وسهول منطقة تادلا.
انظر، ابن خلدون، عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، 1956-1959، ج. 6 ، ص.30-32.

[2] . بوسلام محمد البشير، تاريخ قبيلة بني ملال (1854-1916). جوانب من تاريخ دير الأطلس المتوسط ومنطقة تادلا، الرباط، 1991، ص. 23.

القبائل: بني موسى، بني عمير، جزء من بني ملال، بني معدان، سمكط وكطاية.

الدير: " وهي منطقة متدرجة، متوسطة الخصوبة وفيرة المياه، تربط بين جبال الأطلس والسهول الرسوبية"[1]. يستوطن الدير مجموعة من القبائل أغلبها أمازيغية باستثناء بني ملال ذات الأصل العربي وهي: آيت ويرا وآيت محند وآيت عبداللولي (آيت اسري) وآيت سعيد وعلي (قبيلة من اتحادية آيت سخمان) وبني عياط وآيت عتاب[2]

الأطلس المتوسط والكبير: يمتد الأطلس على مسافة أكثر من 700 كلم وينتصب كحاجز ضخم بين المناطق الشمالية والأطلسية والمتوسطية ويتشكل من سلسلتين رئيسيتين متجاورتين ومتوازيتين من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، الأطلس المتوسط والأطلس الكبير. ويوجد بهما قمم يتعدى ارتفاعهما 3000 م تنفصل عن بعضها البعض بأودية تتغذى بمياه عتبة أغبالة وتجري في اتجاهين متعاكسين: ملوية في اتجاه البحر الأبيض المتوسط وواد العبيد في

---

[1] . نفسه

[2] . تمتد مجالات القبائل الأمازيغية المستقرة بالدير إلى منطقة الأطلس المتوسط ، بل إن اتحادية آيت سخمان والتي تنمي إليها قبيلة آيت سعيد وعلي المجاورة لبني ملال، يشمل مجالها رقعة جغرافية واسعة في الأطلس المتوسط والأطلس الكبير، حيث تستقر بعض فرقهم في كوسر قرب زاوية أحنصال. انظر الملحق، قبائل الأطلس المركزي

اتجاه المحيط الأطلسي[1]. ويستوطن هذه المنطقة الجبلية الشاسعة عددا من القبائل الأمازيغية.

رغم صعوبات التنقل، ترتبط السهول الشمالية بالأطلس المتوسط والكبير ومن تم الواجهة الصحراوية عبر مجموعة من المسالك التي كانت تستعمل لأغراض متنوعة: التنقل للرعي من طرف مختلف القبائل حسب فصول السنة، الربط بين مختلف الأسواق، وتنقلات السكان. ونظرا لأهميتها الاستراتيجية أثناء عمليات الغزو حدد كيوم المحاور الرئيسية كما يلي:

"في الشرق: محور خنيفرة-زيز عبر أزرو- تمحضيت- ميدلت- ممر تغمرت.

في الوسط: محور خنيفرة-القباب-ألمسيد-أغبالة-تاسنت-أعلى أسيف ملول، حيث تنطلق مسالك أخرى في اتجاه المناطق الصحراوية: دادس وتودغة وغريس.

في الغرب: محور بني ملال- تيزي غنيم-واويزغت-تيلوكيت-أحنصال-أوسيكس. وينطلق مسلك آخر من واويزغت عبر محور أزيلال-آيت محمد-تيزي نايت إمي- دادس.

[1] . كيوم، المصدر السابق، ص. 30

في جنوب القصيبة يوجد محوران ثانويان جنوب تيزي نايت ويرا: واحد في اتجاه أغبالة عبر درنة وتيزي نسلي والآخر في اتجاه تيكلفت وآيت أنركي عبر أغزيف وعتبة إسناين.

وتنبغي الإشارة إلى أن كل هذه المحاور تتخذ اتجاها عموديا للأطلس المتوسط والكبير وتتفادى المقعرات العميقة والأفاجيج غير الصالحة للاستعمال. وتربط الجبل بالسهل عبر مسالك مباشرة. وفي زمن المواجهات العسكرية بين قوات الاحتلال والقبائل لم تكن المسالك مهيأة ومصانة باستثناء بعض الممرات الوعرة في آعالي الجبال التي تغطيها الثلوج خلال الشتاء. ورسمت هذه المسالك بحوافر الدواب وأقدام الإنسان."[1]

سنحاول في هذه الدراسة التركيز على بعض قضايا التاريخ الجهوي، الاجتماعية والسياسية والقانونية باستغلال مجموعة من المصادر والوثائق: مصادر عربية وفرنسية.

[1]. كيوم، نفسه

I.الاحلاف القبلية والسياسة المخزنية

منذ آواخر القرن الرابع عشر عرف المغرب أزمة عميقة تجلت أساسا في ضعف السلطة المركزية المرينية الأمر الذي شجع الايبريين على غزو المغرب وخاصة المناطق الساحلية. فقامت اسبانيا والبرتغال باقتسام الشواطئ وتحديد مناطق النفوذ، فتوالت عمليات الاحتلال، حيث تم احتلال جل المدن الشاطئية بل إن البرتغاليين بسطوا نفوذهم على منطقة دكالة[1]. وكان لهذه الأزمة انعكاسات اقتصادية وسياسية واجتماعية ودينية شملت مجموع الأقاليم المغربية ومن بينها المناطق الجنوبية الشرقية ومنطقتي الأطلس الكبير والأطلس المتوسط.

أدى الاختلاف التضاريسي والمناخي بين الواجهة الصحراوية والمناطق الجبلية إلى نشوء روابط اقتصادية بواسطة التبادل والانتجاع وروابط بشرية بفعل الامتداد الديمغرافي للقبائل بشكل لا يتطابق مع التقسيم الجغرافي، وروابط اجتماعية نتيجة العهود والمواثيق والمقدسات المشتركة، والتأطير الديني للزوايا. إلا أن هذه الروابط كانت معرضة للاهتزاز وأحيانا للتدهور

[1] انظر دراسة بوشرب أحمد، دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء أسفي وأمور (قبل 28 غشت 1481_ أكتوبر 1541)، الدار البيضاء، 1984.

خاصة خلال الأزمات التي غالبا ما تكون لها انعكاسات سلبية تشمل مجموعة المنطقة.

فمن بين نتائج أزمة القرن الخامس عشر تدهور النظام التبادلي وارتفاع حدة الضغوط القبلية وخاصة المعقلية[1]، وظهور أحلاف قبيلة مثل حلف آيت عطا وآيت يفلمان وارتفاع وتيرة الهجرة، الأمر الذي أدى إلى تغيير الخارطة السكانية وإلى خلق واقع اقتصادي واجتماعي جديد حدد طبيعة العلاقة بين مختلف الوحدات الاجتماعية من جهة والمخزن من جهة أخرى، بل إن مختلف التطورات أدت إلى إفراز كيان سياسي صنهاجي وهو الزاوية الدلائية التي شمل نفوذها منطقة الأطلس المتوسط والكبير والواجهة الصحراوية بالإضافة إلى تادلا وسايس[2].

منذ هذه الفترة، احتلت هذه المنطقة صدارة الأحداث وأصبحت تحدد طبيعة السياسة القبلية للمخزن المركزي الهادفة إلى إخضاع سكان المناطق الجبلية أو على الأقل محاصرتهم واحتوائهم. ومن هنا ارتأينا التطرق

[1] أشار الحسن بن محمد الوزان في كتابة وصف إفريقيا المؤلف حوالي 1510 إلى الضغوط التي كانت تمارسها القبائل المعقلية خلال هذه الفترة بالمنطقة الجنوبية.

[2] حجي محمد، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الرباط، 1984.

إلى ثلاثة نقط، كمحاولة بسيطة لفهم التكتلات القبلية وعلاقتها مع المخزن خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر:

-الأحلاف القبلية: نموذجي آيت عطا وآيت يفلمان

-الاقتصاد الرعوي وحركة الهجرة

-السياسة المخزنية

1.الأحلاف القبلية : حلف آيت عطا وآيت يفلمان

ارتبطت منطقة الجنوب الشرقي، أي منطقتي درعة وتافيلالت ارتباطا عضويا بالمناطق الجبلية المشرفة عليها وخاصة جبل صاغرو والأطلس الكبير الشرقي مجال القبائل الصنهاجية، التي ارتبطت بدورها بقبائل الشمال لامتدادها الديمغرافي وعلاقاتها المتنوعة مع مختلف الوحدات الاجتماعية القاطنة بالسفح الشمالي لجبال الأطلس، أو ما يسمى أهل الظل، آيت أومالو.

لازدهار التجارة القفلية وخاصة تجارة الذهب، فقد لعبت منطقة الجنوب أي الواحات والواجهة الصحراوية دورا اقتصاديا هاما شبهه كثير من الباحثين بالدور الذي لعبه البحر في الحضارة الأوربية. ونظرا للأهمية

الاستراتيجية والاقتصادية، فقد ورد ذكر أوصاف المنطقة وأحداثها التاريخية لدى الجغرافيين والرحالة والمؤرخين.

تشير مصادر العصر الوسيط إلى أن منطقة الواحات والأطلس الكبير الشرقي وجبل صاغرو كانت تقطنها قبائل مستقرة وقبائل رحل، أي أنها مجال الخيام والقصور المحصنة. وكانت تعتمد في نمط عيشها على الفلاحة وتربية الماشية والتبادل، بالإضافة إلى الحرف المتمركزة في القصور والمدن كمدينة سجلماسة: الصناعات النسيجية، صناعة الجلود، وصناعة الآواني وخاصة النحاسية .

لاختلاف الظروف البيئية بين المناطق الصحراوية الرملية والمناطق الجبلية الوعرة ومنطقة الواحات، ظهرت تيارات تجارية بين الوحدات الجغرافية الثلاث. فقد أشار ابن حوقل خلال القرن العاشر الميلادي إلى وجود تيار تجاري بين الأطلس الكبير والواحات، وذكر في كتابه وصف إفريقيا، أن أصواف وجلود الأطلس الكبير كانت تغذي صناعة النسيج والدباغة

بسجلماسة، ونفس العلاقة أوردها الحسن بن محمد الوزان في بداية القرن السادس عشر[1].

أما الانتاج الفلاحي، فكان يتكون من القمح والشعير والتمور ومواد حيوانية كالأصواف والجلود. وأدى النقص في بعض المواد (الأصواف والجلود بالنسبة لسكان القصور، التمور والحبوب بالنسبة للرحل وسكان المناطق الجبلية)، والفائض في مواد أخرى إلى ظهور تيارات تجارية بين سكان الواحات وقبائل الأطلس الكبير الشرقي[2]. ولهذا ارتبط النشاط التجاري ارتباطا وثيقا بحاجيات السكان لسد النقص الحاصل في المواد الغذائية وتمويل الصناعات بالمواد الخام، فالعلاقة بين السكان والتجارة هي علاقة عضوية .

بحكم انطلاق أهم الطرق التجارية الرابطة بين المغرب والسودان من منطقتي درعة وتافيلالت ونظرا لازدهار التجارة القفلية، فقد اندمج سكان

---

[1] يعتبر ابن حوقل الوحيد، من بين جميع كتاب القرنين التاسع والعاشر، الذي زار منطقة تافيلالت واستقر بها فترة من الزمن. أما الآخرون الذين أوردوا أوصافا حول المنطقة فقد تم استقائها من الرحالة والمسافرين أو المصادر السابقة لعهدهم.

Mezzine, Larbi, Le Tafilalt. Contribution à l'histoire du Maroc aux XVIIè et XVIIIè siècles, Publication de la faculté des lettres et des sciences humaines, Rabat, 1987, N.I.,2, p.21

[2] El Bekri, Description de l'Afrique Septentrionale, trad. de Slane, Paris, 1965,p.281

المنطقة في النظام التبادلي بين السودان والمدن الرئيسية، سواء الداخلية كفاس ومراكش أو المدن الساحلية، كأكادير وأسفي وأزمور وسلا ...الخ مراكز تسويق مختلف المواد للأوربيين.

بما أن تربية الماشية شكلت المورد الرئيسي لسكان الجبال، فقد كانوا يتنقلون بقطعانهم نحو النجود الصحراوية الأقل برودة في فصل الشتاء. إلا أن هذه المنطقة عرفت تحولا في خارطتها السكانية بوصول القبائل المعقلية خلال القرن الثالث عشر. فخلال هذه الفترة وإلى غاية القرن الرابع عشر، اندمج الوافدون الجدد في النظام الاقتصادي. وبحكم تربيتهم للجمال وانتشارهم تدريجيا بالمنطقة الممتدة من الجنوب إلى مشارف نهر السنغال، فقد استفادوا بدورهم من التجارة القفلية كتجار ومرشدين وحماة للقوافل. وهذا الفائض المالي الناجم عن التجارة كان له أثر كبير في استقرار الأوضاع.

إلا أن أزمة القرن الخامس عشر، المتمثلة في تدهور السلطة المرينية والاحتلال الايبيري للسواحل المغربية، أدت إلى خنق البلاد اقتصاديا وإلى تدهور المبادلات مع الخارج سواء مع السودان أو مع أوروبا عبر الموانئ التي تم احتلالها من طرف الاسبان والبرتغال. ما هي انعكاسات الأزمة على المنطقة؟ وكيف أدت إلى ظهور الأحلاف القبلية؟

من النتائج المباشرة للأزمة تدهور النظام التبادلي، ومن علامات هذا التقهقر اختفاء مدينة سجلماسة[1] التي ظلت طيلة العصور الوسطى العاصمة العالمية للذهب بل اتخذت طابعا أسطوريا في الكتابات الشرقية. ففي سنة 1399 غادر السكان المدينة وتفرقوا في قصور منطقة تافيلالت. اختفاء المدينة ارتبط بتدهور الطريق التجاري الرئيسي المنتهي إلى السودان مما أدى إلى تقلص حجم المبادلات. فالطرق تؤدي إلى ظهور المدن والمدن تؤدي بدورها إلى ظهور الطرق كما يقول فرناند بروديل[2].

باختفاء الفائض المالي الناجم عن التجارة تدهورت الأوضاع الاقتصادية، وعانى السكان من جراء الأزمة، فاضطرت ساكنة المنطقة إلى الاعتماد على إمكانياتها الذاتية غير الكافية لانعدام التوازن بين الديمغرافية والواقع الاقتصادي الجديد، وأول المتضررين من هذا الوضع هم القبائل المعقلية التي نضبت مواردها بتقلص عائدات التجارة. من النتائج المباشرة هجرة بعض القبائل نحو الشمال عبر ممرات الأطلس خاصة بني حسن وزعير

[1] تشير أغلبية المصادر والدراسات إلى اختفاء مدينة سجلماسة في آواخر القرن الرابع عشر رغم انها كانت خلال القرون السابقة أهم مدينة تجارية تربط المغرب بالسودان بل اعتبرتها جاك مونيي العاصمة العالمية للذهب في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

Meunié, J., Le Maroc saharien des origines à 1670, Paris; 1982, T.1, p.222

[2] Braudel, F., La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, Paris, 1985, T. II, p.45

واندلاع سلسلة من النزاعات حول الأراضي والمياه والمراعي بين الرحل والمستقرين، الأمر الذي عمق من حدة الأزمة. وقد أشار كل من ابن خلدون ومحمد بن الحسن الوزان إلى الضغوط التي مارستها القبائل المعقلية على سكان الواحات والمتمثلة في فرض الإتاوات وانتزاع الأراضي، حيث استقرت مجموعة من الفصائل بواحات درعة وتافيلالت، بينما هاجرت أخرى في اتجاه الشمال[1]. في خضم هذه الأوضاع اضطرت قبائل جبل صاغرو والأطلس الكبير الشرقي، لضمان أمنها الغذائي وتأمين مجالاتها الرعوية الحيوية، إلى تكوين حلف قبلي جديد عرف باسم آيت عطا.

إذا رجعنا إلى مختلف المصادر وخاصة ابن خلدون الذي يعتبر كتابه العبر سجل حقيقي للقبائل، فإنه لا يذكر آيت عطا. وكذلك الشأن بالنسبة لمحمد بن الحسن الوزان. وأول ذكر ورد عند مارمول، أي حوالي سنة 1570، عندما تحدث عن وجود إقليم كبير بجوار تافيلالت يسمي إطاطا Ytata .

حسب دراسة العربي مزين حول تافيلالت، فقد ارتبط ظهور الحلف بالضرورة التي ظهرت لدى قبائل جبل صاغرو خاصة آيت واحليم وآيت اسفول، لبناء مخازن جماعية للحبوب،إغرم أمزداغ. وانضم لهذا الحلف قبائل

[1] Léon l'Africain, Description de l'Afrique, Trad. Epaulard, Paris, 1956, p.427, 429

أخرى من الأطلس الكبير الشرقي، قبيلتي آيت حديدو وآيت مرغاد[1]. إلا أن ظاهرة بناء المخازن الجماعية، لم تقتصر على جبل صاغرو بل عمت مجموع منطقة الأطلس الكبير وجزء من الأطلس المتوسط، بهدف تأمين المواد الغذائية الأساسية.

هكذا يظهر أن حلف آيت عطا، تكون خلال القرن السادس عشر نتيجة للأزمة العميقة الناجمة عن ضعف السلطة المركزية، والاحتلال الايبيري للسواحل المغربية وما نجم عن ذلك من تدهور للمبادلات التجارية سواء الداخلية أو الخارجية واضطراب الأوضاع باندلاع النزاعات بين القبائل حول الأراضي والمراعي والمياه، فكان تحالف آيت واحليم وآيت اسفول وآيت حديدو وآيت مرغاد تكيفا مع الظروف الجديدة. وبناء المخازن الجماعية "إغرم أمزداغ" هو تعبير عن حاجة القبائل لتأمين حاجياتها الغذائية والدفاع عنها إذا اقتضى الحال[2].

إلا أن حلف آيت عطا حدث فيه تصدع، عندما اندلع نزاع بين آيت واحليم وآيت اسفول من جهة وآيت حديدو حول مراعي منطقة أمدغوس، فخرج آيت حديدو وآيت مرغاد من الحلف وكونوا حلفا مضادا، سمي حلف

[1] Mezzine, L., op. cit.,p.276-277

[2] Ibid., p.277

آيت يفلمان الذي ورد ذكره في إحدى وثائق زاوية آسول سنة 1645 م. واتسع الحلف فيما بعد ليشمل آيت يزدك وآيت يحيى وعرب الصباح[1]، وهكذا اندلعت سلسلة من التحالفات شملت الأطلس الكبير والأطلس المتوسط. فاتحادية آيت أومالو،المشكلة خلال القرن السابع عشر من بني مكيلد واشقرن وآيت حديدو وآيت اسحاق وآيت لحسن، اتسعت تدريجيا لتضم آيت اسري وآيت سخمان.

مما لا شك فيه أن الأحلاف القبلية، هي استجابة وتكيفا حيويا مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، مما أضفى عليها حركية وجعلها في تغير مستمر موازاة مع تغير الأحوال، ومن هنا لابد من التساؤل ولو مرحليا، عن الثوابت والمتغيرات في حياة القبائل. من بين الثوابت، اعتماد قبائل الأطلس المتوسط والأطلس الكبير الشرقي على الرعي والترحال، أي أن رأسمالها هو بالأساس رأسمال متحرك يفرض على مالكه التنقل باستمرار عبر إيقاع تحدده فصول السنة وحسب العهود والمواثيق لاستغلال المجالات الرعوية بالمناطق السهلية والنجود الصحراوية، بل إن بعض القبائل تضطر تحت ضغط الظروف إلى مغادرة مواطنها الأصلية للاستقرار بمناطق جديدة. ولهذا فإن الانتجاع وحركة الهجرة حدد طبيعة العلاقة بين الانسان والأرض،

[1] Ibid.,279

وبين مختلف الوحدات الاجتماعية والمخزن، بل شكل محور الحياة الثقافية والدينية.

2. الانتجـــاع وحركـــة الهجـــــرة

حددت الظروف الطبيعية ونمط عيش السكان القائم أساسا على تربية الماشية التحرك سنويا نحو المناطق الصحراوية والمناطق السهلية. عندما تشتد البرودة وتتساقط الثلوج ويقل الكلأ، تضطر قبائل الجبال للانتقال للمراعي الشتوية، كما أن القبائل السهلية والصحراوية تنتقل بقطعانها نحو المراعي الصيفية الجبلية. أدت حركة التنقل الموغلة في التاريخ إلى عقد عهود ومواثيق لاستغلال المراعي المشتركة (أكدال) .[1]

لهذا فإن وجود الزوايا في المناطق الرعوية ضرورة حيوية للسكان لإيجاد حلول لمشاكلهم المتعلقة بالانتجاع والسهر على الاستفادة المشتركة بإقامة تحالفات غالبا ما يتم تمتينها بطقوس كطادا (الرضاع). فالزوايا لعبت دورا رئيسيا في إقامة التوازن بين السكان. فالزاوية الدلائية التي ظهرت في بداية القرن السادس عشر، وعرفت تطورا مضطردا خلال القرن السابع عشر، تمكنت بفعل أدوارها وخاصة التحكيمية من نشر نفوذها في منطقة الأطلس

[1] انظر كيوم، البربر المغاربة وتهدئة الأطلس المركزي (1912-1933)، ترجمة وتقديم محمد العروصي، بني ملال، 1916، ص.70 تابع

المتوسط والأطلس الكبير ومنطقة تادلا والواجهة الصحراوية، بل امتد نفوذها في أوج توسعها إلى منطقة الغرب وسايس[1].

إلا أن انعدام التوازن بين الامكانيات الاقتصادية والسكان، لأسباب عديدة (طبيعية كالجفاف، ديمغرافية ، تكاثر السكان) غالبا ما يدفع الفائض من السكان إلى الهجرة. فقبائل آيت عطا، هاجروا من جبل صاغرو في اتجاه واحات درعة وتافيلالت، بينما هاجرت إحدى فصائلهم في اتجاه الشمال عبر ممرات جبلية، فوصلت إلى منطقة الأطلس المتوسط على مشارف تادلا. كما وصلت قبيلة بني حسن إحدى القبائل المعقلية خلال القرن السابع عشر إلى صفرو وكاف النسور، في حين وصلت قبيلة زعير إلى ضواحي الرباط[2].

هذه الهجرة الجماعية، أحدثت تغييرا سكانيا وفراغا مجاليا، استدعيت قبائل أخرى لملأه، فانطلقت حركة هجرة متسلسلة من منطقة الأطلس الكبير والأطلس المتوسط. فزحف آيت يدراسن باتجاه فاس، بينما استقر آيت يوسي قرب ممرات الأطلس المتوسط. وتمكن المولى اسماعيل بسياسته العسكرية من إيقاف هجرة القبائل مؤقتا ببناء حزام من القصبات،

---

[1] محمد حجي، الزاوية الدلائية ...، الرباط، 196

[2] Colin, G. S., origine arabe des mouvements de populations berberes dans le Moyen Atlas, Hesperis T.25, 1938, p.265-268

وتكليف قبائل الكيش بمراقبة تحركات سكان الجبال[1]. ولكن بعد وفاته، تحركت القبائل من جديد في اتجاه الشمال. فقبائل زمور وكروان شرعوا في الزحف في اتجاه أزرو دافعين أمامهم بني حسن الذين وصلوا تحت ضغط القبائل في بداية القرن 17 إلى غابة المعمورة والغرب، بينما استقر كروان شمال أكوراي. أما زيان فقد وصلوا إلى الهضبة الوسطى دافعين أمامهم زعير في اتجاه المحيط الأطلسي، واستقرت بعض فصائلهم بولماس ومولاي بوعزة. واعتبر كثير من الباحثين الزاوية الدلائية، بحكم تأطيرها لقبائل الأطلس، تعبيرا سياسيا عن هذه الظاهرة. فالدلائيون أنفسهم هاجروا من ملوية العليا (آيت مجاط) إلى آيت اسحاق، وبسطوا سيطرتهم على تادلا وسايس. الأمر الذي يظهر العلاقة بين ظهور الزاوية وتطورها وظاهرة الهجرة القبلية. فما هي طبيعة السياسة المخزنية المتبعة اتجاه القبائل؟

3. السياسة المخزنية

بعد القضاء على الزاوية الدلائية من طرف المولى رشيد، وجه خلفه المولى اسماعيل اهتمامه لمنطقة الأطلس المتوسط والأطلس الكبير. ولتدعيم

[1] Lieutenant de la Chapelle, Le sultan Moulay Ismail et les berbères sanhaja du Maroc central, Archives marocaines, 28, 1931, p.31 sq

سلطته عمل المولى اسماعيل على تكوين جيش نظامي على غرار جيش الانكشارية التركي.

حسب المصادر التاريخية قضى المولى إسماعيل 24 سنة لإخضاع القبائل، وخاصة المجموعة الصنهاجية التي كانت خاضعة فيما قبل للزاوية الدلائية محاولا إيقاف زحفها نحو المناطق السهلية[1]. ولتحقيق هذا الهدف قام ببناء حزام من القصبات كقصبة تادلا، وقصبة بلكوش وقصبة أزرو وعين اللوح وميدلت، وأقام بها حاميات عسكرية دعمها بقبائل الكيش التي اقرها بتادلا وسايس لمراقبة ومحاصرة سكان الجبال. إلا أن هذه السياسة زادت من حدة التوتر. ففي سنة 1674 ثارت القبائل الصنهاجية ورفضت أداء الضرائب وقتلت بعض ممثلي المخزن، ولم يتمكن المولى اسماعيل إلا هزم جزء صغير من الثوار. وبعد ثلاثة سنوات 1677، اجتمعت القبائل الصنهاجية حول أحمد بن عبد الله الدلائي، وكثفت هجومها على قبائل الكيش في تادلا وسايس، بل قامت بإعادة بناء الزاوية الدلائية[2]. وبعد فشل ثلاثة حملات عسكرية، ترأس المولى إسماعيل بنفسه الحركة العسكرية ضد آيت أومالو. ولاختلال التوازن في

---

[1] الناصري، أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، الدار البيضاء، 1956، ج7، ص.53-54

[2] نفسه، ص.66 ، 68

القوة، تمكن المولى إسماعيل من تحقيق نصر سريع[1]، وحاول كذلك إيقاف زحف آيت عطا نحو الواحات، فسيطر بعد عدة معارك على فركلة وغريس وتدغة، بل إن آيت عطا تمكنوا من إلحاق الهزيمة بالجيوش السلطانية في معركة سنة 1679، حيث فقد السلطان قيادة الجيش، وفي طريق العودة فوجئ بعاصفة ثلجية في ممر تلويت. ومنذ هذا التاريخ صرف المولى اسماعيل اهتمامه عن آيت عطا الذين استقروا بدرعة ودادس طاردين القبائل العربية التي هاجرت نحو الشمال. وحاولت بعض فصائل آيت عطا الهجرة نحو الشمال، لكنها اصطدمت بالقبائل الصنهاجية الأخرى. مما وفر للمخزن فرصة لتوظيف النزاعات القبلية لصالحه. ورغم هذه التحركات العسكرية ظل التوتر سائدا بين مجموعة من القبائل والمخزن، قبائل جبل العياشي والأطلس المتوسط (أي آيت أومالوا)، فنظم المولى اسماعيل مجموعة من الحركات، وبنى قصبات في أزرو وعين اللوح وسكورة، وأقام بها حاميات عسكرية للسيطرة على الطريق الرابط بين تافيلالت وفاس.

بعد النتائج الهزيلة، نظم المولى اسماعيل حملة عسكرية كبرى خلال سنتي 1692-1623، استعمل فيها المدفعية والخيالة وفرق المشاة، وعمل على تهيئة الهجوم بعناية فائقة عبر ثلاثة جبهات وبعد الانتصار. أقام المولى اسماعيل قصبات وسط مجال آيت أومالو : قصبة بني مطير ، تونفيت وأغبالة

[1] نفسه، ص.78 تابع

التي بناها القائد علي أوبركة ، قائد آيت يمور وصهر سيدي علي أوحساين جد عائلة إمهواش المتوفى سنة (1730و 1735) .

إذا تمكن المولى اسماعيل من فرض سلطته على قبائل آيت أومالو إلا أن هذه الأخيرة، تمكنت خلال فترة الأزمة التي دامت ثلاثين سنة (1757-1757) من استعادة قوتها العسكرية بشراء الخيول والأسلحة، واستعادة حرية التنقل نحو المناطق السهلية، وكذلك الهجرة اتجاه السهول وخاصة سايس والهضبة الوسطى وتادلا[1] .

إلا أن السنوات الأولى لحكم السلطان سيدي محمد بن عبد الله تميزت بالهدوء النسبي لحالة الانهاك الناجمة عن ثلاثين سنة من الحروب. وأولى علامات الاضطراب ظهرت سنة 1759 عندما هاجمت قبيلة كروان بعض القوافل التجارية، وحاولت الاستيلاء على أراضي جديدة ولتدعيم قوتها تحالفت مع الودايا، فاضطر سكان فاس إلى قبول حماية سادة الأطلس. فانتقل السلطان إلى فاس وعاقب الوداية وطرد كروان من ضواحي المدينة[2]. ولكن هذا الانتقال كان مؤقتا لعودة القبيلة إلى مجالها سنة 1761، بل مهاجمتها لقصر السلطان في دار الدبيبع[3] . كما قام سيدي محمد بن عبد الله

---

[1] الزياني، الترجمان المعرب، ص.56

[2] الزياني، البستان الظريف، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، ص.113

[3] محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف، تحقيق أحمد العماري، الرباط، 1986،ص.166

بمعاقبة اشقرن لتحملهم المسؤولية عن الاضطرابات بتادلا. وكان الهدف من الحملات العسكرية إظهار القوة لإيقاف زحف القبائل وما يرافق الزحف من اضطرابات. إلا أن ظاهرة الهجرة عرفت تراجعا خلال عهد سيدي محمد بن عبد الله. فالمصادر التاريخية لم تذكر أي تحرك عسكري في الفترة الممتدة بين 1763 و 1767 ضد بربر الأطلس. ورغم استمرار التقاليد العسكرية باستعمال العبيد وفرسان القبائل وقبائل الكيش فقد لجأ سيدي محمد إلى التخفيف من سلطة المخزن، وألغى التداريب العسكرية لجيش العبيد.كما أوقف عملية التجنيد، وفي إطار نفس السياسة استغل المخزن التناقض بين القبائل ووظفها لصالحه. ولهذا فإن التحالف بين المخزن والقبائل لم يكن ثابتا، بل خاضعا لمصلحة السلطة المركزية. إلا أن المغرب عرف فيما بين سنة 1776و 1782 جفافا ومجاعة كبيرة، عمت مجموع الأقاليم المغربية، وأدت إلى نزيف ديمغرافي وانهيار الإنتاج وانعدام الأمن على الطرقات،حيث اضطر سيدي محمد بن عبد الله إلى تخصيص أربعة سفن للربط بين مختلف الموانئ لاستحالة التنقل عبر الطرق البرية.

من الصعب معرفة بدقة جميع تنقلات القبائل البربرية خلال هذه الفترة، فالمصادر التاريخية تشير إلى تنقلات مجموعات بالحوز والشاوية والغرب وتادلا، كما تورد اغتيال المبعوث الخاص للسلطان مولاي علي بن

فاضل المكلف باستخلاص الضرائب من طرف آيت عطا سنة 1777 . وابتداء من سنة 1782، استعادت الديمغرافية نشاطها الطبيعي تدريجيا.

عرف عهد المولى سليمان مواجهة عسكرية مفتوحة بين آيت أومالو بزعامة أبي بكر إمهواش والمخزن، إلا أن المواجهة لا يمكن ربطها فقط بالظروف الطبيعية ونمط العيش والسياسة الدينية والاصلاحية للسلطان، بل تعود كذلك إلى سياسة المولى سليمان القبلية.

II.المولى سليمان وزاوية إمهواش

لعبت الزوايا دورا مهما في تاريخ المغرب انطلاقا من القرن السادس عشر. ورغم الدراسات التي أنجزت حول العديد منها لازال تاريخ البعض منها يكتنفه كثير من الغموض، ومن بينها زاوية إمهواش التي لعبت دورا دينيا واجتماعيا وسياسيا طلائعيا منذ بداية القرن التاسع عشر وإلى غاية سنة 1932م تاريخ معركة تازكزاوت[1]. بل إن زاوية إمهواش وقاعدتها البشرية آيت أومالو لعبت دورا مركزيا في مجريات الأحداث التي عرفها عهد السلطان المولى سليمان، وخاصة بعد معركة أزرو سنة 1811. مما يطرح تساؤلات حول نفوذ الزاوية والسياق التاريخي للعلاقات مع المخزن وطبيعة السياسة الدينية والقبلية للمولى سليمان.

[1]. العروصي، محمد، مقاومة آيت سيدي علي إمهواش للاحتلال الفرنسي. معركة تازكزاوت 1932. Revue des arts et de l'oralité, cahier n°1, 2008, pp.37-44

1- نفوذ الزاوية وسط قبائل آيت أومالو

يرجع أصل إمهواش إلى سيدي علي أوحساين المتوفى بين سنة 1730م و 1735م. كانت أم سيدي علي تلقب بتمهاوشت لانتمائها إلى إمهواش إحدى فخذات قبيلة آيت ويرا المنتمية بدورها إلى اتحادية آيت اسري. ونسبة إلى أمه لقب سيدي على بإمهواش وعرفت عائلته تحت اسم آيت سيدي علي إمهواش أو أمهاواش[1].

أصبح سيدي علي أوحساين تابعا للزواية الناصرية التي انتشر نفوذها بمجموع المناطق المغربية ومن بينها منطقة تادلا ومنطقتي الأطلس المتوسط والأطلس الكبير، حيث أصبحت الزاوية الحنصالية تابعة بدورها لزاوية تامكروت. وبعد وفاة سيدي علي أوحساين، خلفه ابنه محمد الملقب من طرف والده باوناصر تيمنا ووفاء لذكرى مؤسس الطريقة الناصرية[2].

كان لآيت سيدي علي نفوذا كبيرا بمنطقة الأطلس المتوسط والكبير، وخاصة بين القبائل المشكلة لاتحادية آيت أومالو التي عرفت عدة تحولات

---

[1] Drague, g., Esquisse d'histoire religieuse au Maroc, Paris, 1951, p.63

[2] Guillaume, Augustin Léon, les berbères marocains et la pacification de l'Atlas central (1912-1933), Paris, 1946, p.69

منذ القرن السابع عشر. وخلال عهد السلطان المولى سليمان، وحسب الزياني ضمت اتحادية آيت أومالو القبائل التالية : زيان، إشقرن، بني مكليد، آيت اسحاق، آيت احند، آيت لحسن واتحاديتي آيت اسري وآيت سخمان. وكان مجموع هاته القبائل يقطن الواجهة الشمالية لجبال الأطلس المتوسط وجزء من الأطلس الكبير[1].

حددت الظروف الطبيعية ونمط عيش السكان طبيعة العلاقة بين مختلف هاته القبائل بزعامة إمهواش والمخزن. كما أن الأحداث، التي عرفتها فترة المولى سليمان بالمنطقة لا يمكن فهمها إلا في إطار هذا السياق. فالظروف الطبيعية، فرضت على سكان المناطق الجبلية التحرك سنويا نحو المناطق السهلية ومنطقة الأزغار.

فخلال فصل الشتاء، وعندما تشتد البرودة وتتساقط الثلوج ويقل الكلأ بالمرتفعات تضطر قبائل آيت أومالو ، مجال نفوذ آيت سيدي علي للتنقل بقطعانهم نحو المناطق الواطئة الأكثر اعتدالا. وظاهرة التنقل لم تقتصر على آيت أومالو بل شملت مجموع المناطق الجبلية. وأدت حركة

[1] المنصور محمد، المغرب قبل الاستعمار. المجتمع والدولة والدين (1792-1822)ن ترجمة محمد حبيدة، الدار البيضاء، 2006، ص.177، هامش 119.

التنقل الموغلة في التاريخ إلى عقد عهود ومواثيق ووجود مراعي مشتركة وإلى خلق علاقات متنوعة بين سكان الجبال والسهول[1].

إلا أن المخزن كان يراقب تحركات هذه القبائل، ويحاول منعها من ارتياد السهول أو اكتساحها، وكان يكلف القبائل السهلية بمحاصرة القبائل الجبلية ومنعها من التنقل بقطعانها. إلا أن حتمية التنقل خلقت واقعا للتعايش المشترك. الأمر الذي كان يغضب المخزن ويجعله يوجه الاتهام للقبائل السهلية بالتقاعس عن أداء واجباتها، كما يظهر من خلال الرسائل العديدة التي بعث بها المولى سليمان إلى قواده[2].

حددت هذه المعطيات طبيعة العلاقة بين المخزن من جهة والقبائل الجبلية والزوايا المؤطرة لها من جهة ثانية. فزاوية إمهواش الموجودة في قلب

---

[2] في الأطلس الأوسط يمكن التمييز بين مجالين لا يقتصران على الفح الشمالي والسفح الجنوبي للأطلس، كما تورد الكثير من الدراسات، ولكن بين منطقتين ارتبطت كل واحة حسب المعطيات الطبيعية والاثنية إما بالمناطق الصحراوية كما هو شأن إحنصالن وآيت بوكماز وآيت محمد، وآيت عبدي أوالسهول والهضاب الأطلسية كما هو شأن زيان وإشقرن وآيت إسحاق وآيت ويرا. وكان المخزن عاجزا عن تنظيم حملات عسكرية خلال الشتاء اللظروف الطبيعية غير الملائمة والمتمثلة أساسا في توحل المسالك، أي صعوبة التنقل. في حين توافق هذه الفترة، موسم نزوح القبائل الجبلية إلى السهول والهضاب والنجود الصحراوية مما يجعل في منأى عن عقاب المخزن. ومن هنا معاتبة المخزن لقواده لعدم قدرتهم على منع القبائل الجبلية من المراعي.
المنصور، المرجع السابق، ص.181

مجال آيت أومالو كانت هي المؤطر السياسي والاجتماعي لهذه القبائل. مما شكل أحد الأسباب الرئيسية للاصطدام بالمخزن.

تمكن المولى اسماعيل بفضل سياسته العسكرية الصارمة من فرض سلطته على قبائل آيت أومالو. إلا أن هاته الأخيرة، تمكنت خلال فترة الأزمة التي دامت ثلاثين سنة (1727م-1757م) من استعادة قوتها العسكرية بشراء الخيول والأسلحة واستعادة حرية التنقل نحو المناطق السهلية[1].

حاول المولى سليمان رغم إمكانياته العسكرية الضعيفة فرض سلطته على قبائل آيت أومالو بتوسيع نفوذ القائدين محمد وعزيز المطيري وبن الغازي الزموري لتشمل مجموع برابرة فازاز دون الأخذ بعين الاعتبار التوازنات المحلية والمنافسة بين الزعامات القبلية وسلطة أبي بكر إمهواش. وفي إطار نفس السياسة حاول المولى سليمان منع القبائل الجبلية من ارتياد المراعي الشتوية بالسهول متوعدا القبائل السهلية بالعقاب في حالة عدم تنفيذ التعليمات، بل قام بتنظيم حملة عسكرية في فصل شتاء سنة 1808 م[2]." ففي سنة 1223هـ يقول الناصري، عقد فيها السلطان لوصيفه أحمد بن مبارك صاحب الطابع على جيش كثيف وضم إليه جماعة من قواد الجند

[1] انظر الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء،1956، ج.7، ص. 114 تابع

[2] الزياني، أبو القاسم، الترجمان، المعرب، ترجمة وتحقيق هوداس، باريس، 1886، ص.59

والقبائل، وسار حتى نزل على حدود بلاد آيت أومالو، وأحاطت بهم العساكر من كل جهة وكان ذلك في فصل الشتاء، فمنعوهم من النزول إلى البسيط للمرعى وجلب الميرة إلى أن ضاعت مواشيهم"[1].

إلا أن هذه السياسة المخزنية لم تكن وليدة اللحظة بل ضمن سياق تاريخي للعلاقات بين المخزن والقبائل والزوايا المؤطرة لها.

2- السياق التاريخي للعلاقات بين المخزن والزاوية

بعد القضاء على الزاوية الدلائية من طرف المولى رشيد وتوحيد البلاد وجه خلفه المولى إسماعيل اهتمامه لمنطقة الأطلس المتوسط والكبير، مجال اتحادية آيت أومالو. ولتدعيم سلطته عمل المولى اسماعيل على إخضاع القبائل الصنهاجية وأحاط المنطقة بحزام من القصبات، كقصبة تادلة وقصبة بلكوش (بني ملال) وقصبة أزرو وعين اللوح وميدلت. وأقام في هذه القصبات حاميات عسكرية ودعم هذه الحاميات بقبائل الكيش لإيقاف تحركات سكان الجبال، كما استغل التنافس بين الزعامات القبلية ووظفها لصالح المخزن. ونظم حملات عسكرية مثل الحملة الكبرى ضد آيت أومالو

[1] نفسه، ج.8، ص.

سنة 1693[1]. وبعد هذه الحملة أقام المولى إسماعيل قصبات وسط مجالها القبلي : قصبة بني مطير وتونفيت وأغبالة التي بناها القائد علي أوبركة قائد آيت يمور وصهر سيدي علي أوحساين جد عائلة إمهواش والمتوفى بين سنة (1730م و 1735م). وقد تزوج سيدي علي بايطو ابنة القائد علي أوبركة. إلا أن العلاقات أصبحت جد سيئة، فقام إمهواش بقتل ايطو[2].

عند وفاة المولى إسماعيل سنة 1727 م انحل النظام العسكري وانهارت السياسة الدفاعية عندما قام الجنود بمغادرة القصبات، ووقعت مجموعة من الاضطرابات تغيرت على إثرها خريطة استقرار السكان بفعل الهجرة أو الطرد. واستأنفت القبائل الجبلية زحفها نحو السهول دافعة أمامها قبائل أخرى.

تمكنت زاوية إمهواش خلال فترة الاضطرابات من تقوية نفوذها وسط القبائل للأدوار المتعددة التي كانت تقوم بها. وخلال هذه الفترة استقروا بمنطقة القباب مركز قبيلة اشقرن. وحسب المصادر لم يلعب سيدي

---

[1] غالبا ما كان المخزن ينظم الحملات العسكرية في فصل الربيع لعدم ملائمة الظروف المناخية للتحرك في فصل الشتاء.

حول السياسة العسكرية للمولى اسماعيل انظر:

2.Morsy Magali, la relation de Thomas Pellow. Une lecture du Maroc au 18è siècle,Paris, 1983. Drague, op. cit.,p.39

علي دورا سياسيا في السنوات الأولى للأزمة . ولكن خلفه محمد أوناصر ساند اليزيد عندما ثار ضد أبيه سنة 1770م، حيث التجأ إلى زاوية آيت إسحاق وتم استقباله بحفاوة كبيرة من طرف محمد أوناصر. إلا أن بعض القبائل رفضت مساعدة اليزيد فاضطر اليزيد إلى طلب العفو. وبعد توليه الحكم سنة 1790م كافأ محمد أوناصر بهدية قيمتها 10 آلاف ريال[1].

أما في عهد المولى سليمان فقد عرفت العلاقات بين السلطان وأبو بكر إمهواش تدهورا كبيرا خاصة بعد معركة أزرو سنة 1811م ، فما هي طبيعة العلاقة بين الزاوية والمخزن ؟

3- السياسة الدينية والقبلية للمولى سليمان و الاصطدام مع أبي بكر إمهواش

تجمع المصادر التاريخية على أن المولى سليمان كان فقيها وعالما، فقد عمل سيدي محمد بن عبد الله على تلقينه العلوم الدينية منذ صغره. وبعد حفظ القرآن وبعض العلوم الدينية أرسله والده إلى تافيلالت للاشتغال بالعلم والعكوف عليه. وكان " يبعث إليه بأعيان الفقهاء والأدباء إلى سجلماسة ليقرأ

[1] الناصري، المصدر السابق، ج.8، ص.27.

عليهم ويأخذ منهم ... ولم يلتفت قط إلى شيء مما كان يتعاطاه إخوته الكبار والصغار من أمور اللهو "[1].

بحكم تتلمذه على أكبر العلماء تشبع المولى سليمان بالمذهب المالكي وتبنى مشروعا إصلاحيا لتطهير الدين مما علق به من انحرافات وبدع مثل انعقاد المواسم واجتماع المريدين للسماع والرقص والذبح على الأضرحة. إلا أن هذه الممارسات أصبحت من الشعائر الدينية اليومية لعامة الناس. وشكلت أساس العلاقات بين الزوايا المنتشرة في مختلف أنحاء البلاد والسكان. وأرسل المولى سليمان خطبا لتقرأ من أعلى المنابر في المساجد يحذر الناس من البدع ويدعوهم لتركها. وهذا الاتجاه اعتبر بمثابة إعلان حرب على الزوايا. ومما لا شك فيه أن هذا التوجه وإن كان ينبعث من إيمان شخصي وتمسك بالشرع فسيؤدي حتما إلى الحد من نفوذ الزوايا وامتيازاتها ومداخيلها. ولهذا دخل في صراع مع الزوايا والشرفاء وخاصة الزاويتين الدرقاوية والوزانية .

منذ ظهور إمهواش في الثلث الأول من القرن الثامن عشر ارتبطوا بالزاوية الناصرية، ولم تلعب زاوية إمهواش دورا سياسيا خلال هذه الفترة. وتغيير هذا الموقف مع محمد أوناصر الذي ساند اليزيد في ثورته ضد أبيه سيدي محمد بن عبد الله سنة 1770م، مما أدى إلى فتور في العلاقة بين

[1] نفسه، ص.86، 138-139

إمهواش والناصريين، رغم أن ابا بكر إمهواش ظل ناصريا ولكنه في نفس الوقت أظهر تعاطفا مع تعاليم شيخ الزاوية الدرقاوية خاصة وأن الناصريين استنكروا السلوك العدواني لإمهواش[1].

حسب الناصري، ذكر في مجلس الشيخ الناصري الدجال، فأجاب، "لا يخرج الدجال حتى تخرج دجاجيل من جملتهم أمهاوش " مما يشير إلى تدهور العلاقة بين الزاويتين[2].

كان أبو بكر إمهواش على صلة جيدة بمولاي العربي الدرقاوي الذي تعرض أتباعه لمضايقة المخزن. وتوتر العلاقة بين الدرقاويين والمولى سليمان كان له تأثير على مجريات الأحداث وخاصة منذ اصطدام أبي بكر إمهواش بعساكر السلطان في معركة أزرو سنة 1811م.

إلا أن المواجهة العسكرية، سواء في معركة أزرو أو معركة ظيان بين آيت أومالوا بزعامة أبي بكر إمهواش وعساكر السلطان، لا يمكن ربطها فقط بالظروف الطبيعية ونمط عيش سكان الجبال والسياسة الدينية الإصلاحية للسلطان بل ترجع كذلك إلى سياسة المولى سليمان القبيلة. فقد اعتمد المخزن

[1] المنصور محمد، أبو بكر أمهاوش، معلمة المغرب، المجلد، 3، ص.390-391.

[2] الناصري، المصدر السابق، ص.138

على قبائل السهل والدير لمواجهة سكان المرتفعات. وأصبحت هذه القاعدة إحدى ثوابت السياسة القبلية التقليدية للمخزن.

فبعد بيعة المولى سليمان سنة 1792 م، لعبت قبائل آيت يدراسن وزمور وكروان دورا عسكريا هاما للقضاء على التمرد وتوحيد البلاد خاصة بين سنة 1792 و 1798 بزعامة كل من القائدين محمد ووعزيز وابن ناصر المطيري، بل إن هذا الأخير أصبح " القائم بدولة مولانا سليمان" حسب تعبير الضعيف الرباطي[1]. وشكلت هاته القبائل بزعامة القائدين سدا منيعا في وجه آيت أومالوا بزعامة أبي بكر إمهواش. إلا أن المولى سليمان عمل على إضعافها[2]، الأمر الذي أدى إلى تغيير في التحالفات لتغير ميزان القوة بين آيت أومالوا بزعامة إمهواش وآيت يدراسن وزمور ، لتحالف كروان وآيت يوسي مع آيت أومالوا، القوة العسكرية الضاربة بالأطلس. ففي سنة 1810م/1226هـ يقول الناصري : " قامت الفتنة بين قبائل البربر وكان ابتداؤها أولا بين آيت ادراسن وكروان وبين أعدائهم آيت أومالوا أهل جبل فازاز، ثم لما انتشبوا الحرب غدرت كروان بإخوانهم آيت ادراسن وانحازوا إلى

[1] الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف، تحقيق أحمد العماري، الرباط 1986، ص.263

[2] المنصور، المغرب قبل الاستعمار...، ص.181

آيت أومالوا، فانهزمت آيت يدراسن ووضع آيت أومالوا فيهم السيف ونهبوا حلتهم بما فيها " [1].

أدى الاختلال في التوازن إلى اندلاع سلسلة من المواجهات بين آيت أومالوا بزعامة إمهواش وحلفائهم الجدد كروان وبين آيت يدراسن. وأدرك المولى سليمان خطورة الوضع والنتائج السلبية الناجمة عن هذا الاختلال فدعم آيت يدراسن بفرق عسكرية. إلا أن آيت أومالو أظهروا تفوقا عسكريا كبيرا. وبعد فشل هذه السياسة وعدم قدرة بربر المخزن على مواجهة أبي بكر إمهواش اضطر المولى سليمان إلى تنظيم حملات عسكرية تحت قيادته المباشرة. ففي ابريل سنة 1811م هيأ المولى سليمان حملة ضد آيت أومالو الذين انضمت إليهم قبائل كروان وآيت يوسي وآيت صغروشن ومرموشة. وبعد وصوله إلى أزرو اتجه نحو آيت يوسي ، وخلال الزحف تمت مهاجمة مؤخرة الجيش بقوة وانتشرت الفوضى بين جيوش السلطان، فاضطر المولى سليمان للانسحاب[2].

كان لمعركة أزرو عواقب جد وخيمة، فقد أظهرت بوضوح التفوق العسكري لآيت أومالو بزعامة إمهواش وضعف المخزن والقبائل المساندة له.

---

[1] الناصري، المصدر السابق، ص.115

[2] المنصور، المرجع السابق، ص.182

ولجأ المولى سليمان إلى محاولة تشديد الحصار على آيت أومالو من طرف القبائل المحيطة بهم وحثها على عدم التعامل معهم[1].

مع فشل هذه السياسة، قرر المولى سليمان توجيه ضربة عسكرية لآيت أومالوا لإعادة التوازن. ففي سنة 1819 م ،وهي السنة التي انتشر فيها الطاعون، قرر المولى سليمان الذي كان موجودا بمراكش تنظيم حركة كبرى ضد آيت أومالو فجند لهذا الغرض قبائل الحوز " وكتب إلى العبيد بمكناسة يأمرهم أن يوافوه بتادلا، وكتب إلى ولده وخليفته بفاس أن يوافيه بها بجيش الودايا وشراكة وعرب الغرب وبرابرته وعسكر الثغور" [2].

حسب المصادر التاريخية، وصل عدد المجندين إلى 60 ألف، وزحفت الجيوش إلى أن وصلت إلى أدخسان قرب خنيفرة. والتمست قبائل آيت أومالوا العفو لكن المولى إبراهيم رفض الصلح وانتشب القتال، وأثناء المعركة انضم قائد زمور الحاج محمد بن الغازي الذي كان درقاويا إلى آيت أومالوا، فمنيت العساكر المخزنية وقبائل المحلة السلطانية بهزيمته كبرى عرفت لدى المؤرخين بوقعة ظيان. وأثناء المعركة أصيب المولى ابراهيم بجروح توفي على إثرها، بل إن السلطان نفسه سقط في الأسر، وتمت معاملته باحترام كبير

[1] الضعيف، المصدر السابق، ص.376

[2] الناصري، المصدر السابق، ص.136

كشريف وكأمير للمؤمنين " وأقبلت نساء الحي من كل جهة يفرحن ويضربن بالدفوف، ثم جعلن يتمسحن بأطرافه تبركا به"[1] . وبعد ثلاثة أيام رافقوه إلى مكناس.

كان من نتائج الهزيمة في معركة ظيان سقوط هيبة السلطان المولى سليمان وانتشار الاضطرابات بأغلب المناطق المغربية وازدياد نفوذ أبي بكر إمهواش لدى القبائل البربرية وترسيخ الاعتقاد لدى العامة ببركته وصدق تنبؤاته. ولاسترجاع ولاء بعض القبائل البربرية قام المولى سليمان في صيف 1819م باعتقال 600 فرد من البربر والاحتفاظ بهم كرهائن. إلا أن هذا الاجراء أدى إلى تكوين جبهة موحدة بزعامة أبي بكر إمهواش الذي زحف على مكناس وحاصرها. ورغم اطلاق سراح المعتقلين بوساطة المرابط عبد الله بن حمزة العياشي استمرت الاضطرابات وكان من أهمها فتنة فاس (1820م – 1822م) التي اتحدت فيها الزعامات الدينية والزعامات القبلية وعلى رأسها أبو بكر إمهواش، الذي حضر مراسيم خلع السلطان المولى سليمان وبيعة ابن أخيه إبراهيم بن اليزيد.

ختاما شكلت زاوية إمهواش إطارا دينيا واجتماعيا وسياسيا لقبائل آيت أومالوا. وإذا كانت الأعراف والتقاليد والعادات ونمط العيش تحدد إيقاع

[1] نفسه

حياة السكان ومختلف أنواع علاقاتهم، فقد كانت تحدد أيضا تحركات الزوايا ومواقفها اتجاه المخزن ومؤسساته والزوايا الأخرى. فزاوية آيت سيدي علي كانت تعبيرا عن طموحات وحاجيات السكان المحليين. ومن هنا التناقض مع الزاوية التابعة لها أي الزاوية الناصرية لأن سلوكها يخضع للمعطيات المحلية أكثر من التوجهات العامة للزاوية الأم.

تميزت العلاقة بين المولى سليمان وزاوية إمهواش بالتوتر في المرحلة الأولى والمواجهة العسكرية في المرحلة الثانية. وإذا كان التوتر إحدى سمات علاقة المخزن بآيت أومالوا والزاوية المؤطرة لها ويدخل ضمن سياق تاريخي ومعطيات طبيعية حتمت على السكان التنقل بين السهل والجبل، فإن المولى سليمان بسياسته الدينية والقبلية عمل على إثارة الزوايا وإضعاف القبائل البربرية المساندة للمخزن، مما أدى إلى اختلال في التوازن وإلى اندلاع سلسلة من المواجهات بين آيت أومالوا بزعامة أبي بكر والمخزن أدت في النهاية إلى تكوين جبهة موحدة بين قبائل الأطلس وشيوخ الزوايا .كما ظهر ذلك جليا في فتنة فاس .

III.الاحتلال والمقاومة بتادلا والأطلس
الوسائل السياسية والعسكرية

منذ سنة 1912 أصبح احتلال تادلا والمناطق الجبلية ضرورة ملحة لاستكمال السيطرة على مجموع المغرب ولاستغلال خيراته الاقتصادية وتأمين المواصلات بين المناطق الساحلية والمدن الداخلية وخاصة مكناس ومراكش وفاس[1].

لتحقيق هذا الغرض سخرت السلطات الاستعمارية وسائل سياسية وعسكرية لإخضاع السكان والتحكم في مختلف المناطق. ولجأ الفرنسيون إلى استعمال عدد كبير من الجنود والأسلحة الحديثة. كما تبنوا خططا استراتيجية وسياسية لزعزعة وحدة القبائل وضرب اقتصادها. ومن هنا الضرورة الملحة للتساؤل حول طبيعة الوسائل المستعملة وما كان لها من نتائج مباشرة.

[1] "يعتبر سهلي مكناس وتادلا من أغنى سهول المغرب، ولا يمكن استغلالهما ما دامتا محط أطماع القبائل البربرية المستعدة دائما للنهب، كما أن المواصلات الداخلية الأساسية بين الساحل ومكناس وبين مراكش وفاس عبر تادلا لا يمكن تأمينها ما دامت تحت التهديد المباشر لهذه القبائل"

Guillaume, op. cit., p. 75

1. الجنود والثكنات

فيما بين 1912 و 1925 كانت جميع السلطات مركزة بيد الجنرال اليوطي الذي كان يجمع بين مهام المقيم العام والقائد الأعلى للقوات. ولهذا كان حرا في تبني التصور الاستراتيجي الملائم لحل إشكالية السيطرة على المغرب. ومع اندلاع الثورات وتصاعد المقاومة المسلحة بمختلف المناطق المغربية وخاصة الجبلية منها، لم يعد إخضاع المغرب يتطلب بضعة شهور ولكن تاريخا غير محدد كما صرح بذلك اليوطي نفسه، فالعملية يمكن أن تستغرق سنة أو سنتين أو أكثر[1]. مما دفع بالإقامة العامة إلى الرفع من عدد الجنود بطريقة سريعة، فارتفع العدد من 43.000 إلى 72.000 خلال سنة 1912، واستمر في الارتفاع إلى أن وصل إلى 90.000 في غشت سنة 1914. ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى والتحاق عدد من الجنود بالجبهة الأوروبية انخفض العدد إلى 71000 سنة 1915. إلا أنه ارتفع من جديد ووصل في يناير 1919 إلى 100.000 جندي[2].

[1] Rivet, Daniel, Lyautey et l'institution du protectorat français au Maroc (1912-1925), Paris, 1988, t.2, p.65

[2] Ibid, p.7-9

انطلاقا من المعطيات الاحصائية كان عدد الجنود يفوق عدد المعمرين. واتخذ الوجود الفرنسي خلال هذه الفترة طابعا عسكريا محضا، حيث انتشرت المراكز العسكرية بمختلف المناطق المغربية[1].

بمجرد احتلال منطقة يتم إقرار حامية عسكرية للدفاع عن ما تم احتلاله، ومراقبة السكان غير الخاضعين والتقدم لاحتلال مناطق جديدة وضرب اقتصاد القبائل وزعزعة وحدتها عن طريق الهجوم المباغت وشراء ذمم بعض المغاربة.

فيما بين 1912 و 1914 تمكن الفرنسيون من إنشاء مجموعة من المراكز العسكرية بتادلا والمناطق الجبلية المجاورة. فبعد احتلال واد زم صرح العقيد كيدون دو ديف Geydon de dives أن " احتلال واد زم التي لا تبعد عن أبي الجعد إلا بأقل من 16 كلم يعتبر خطوة متقدمة في سبيل الاحتلال النهائي لتادلا وواجهة لا غنى عنها لحماية المصالح الاستعمارية في الشاوية"[2]. كما تم إقرار حاميات عسكرية في كل من البروج ودار ولد زيدوح وقصبة تادلا وإغرم لعلام وبني ملال بعد احتلالها سنة 1916 وكذلك بمختلف المناطق

---

1 كيوم، المصدر السابق، ص.117-118. انظر الملحق، الدفاع الثابت والمتحرك

[2] بوسلام، المرجع السابق، ص.222

الجبلية موازاة مع تقدم القوات. حيث أصبح تدعيم الجبهة يتطلب تجهيز الطرق لربط المناطق المحتلة بالداخل لتسهيل نقل الجنود والتمويل وإقامة نظام دفاعي ثابت متمثل في المراكز. ووضعت السلطات الاستعمارية نموذجا للمراكز، وكان يتم بناءها من طرف فرق مختصة في غضون شهر.

مكنت المراكز العسكرية وتجنيد المغاربة الخاضعين وتكليف القبائل الموجودة على حدود المقاومة من تشديد الحصار على القبائل المقاومة وتوجيه ضربة لاقتصادها. فقد جاء في التقرير الشهري للحماية المؤرخ بدجنبر 1920 ما يلي: "بعد منع المتمردين زيان وإشقرن وآيت إسحاق من مراعيهم الاعتيادية الموجودة على الضفة اليمنى لأم الربيع بواسطة مراكز تاقا إشعان، واد أمسين، خنيفرة وزاوية آيت إسحاق، لم يجدوا ملجأ ضد قساوة فصل الشتاء غير الدير. فأصبحوا في متناول نيران مدافعنا وليس لماشيتهم ما يكفيها من العشب، كما أنهم معرضون للنهب من طرف حلفائنا المساندين بالجنود والطيران."[1]

إذا كان من الصعب تحديد عدد القوات التي استعملت بالمنطقة يمكن الجزم بأهمية العدد. فبالإضافة إلى الجنود النظاميين المكونين للفرقة المتنقلة المستقرة في قصبة تادلا والبالغ عددهم حوالي 8000، تمكن

[1] Rivet, D., op. cit, p.165

الفرنسيون من تجنيد عدد كبير من المغاربة: الكوم، المخازنية، مشاة وخيالة القبائل. ولإظهار أهمية الوجود العسكري الفرنسي نورد بعض الأمثلة:

- في سنة 1912 وأثناء محاولة الفرنسيين إخضاع بعض فصائل بني عمير وبني موسى، كان كيدون دو ديف على رأس قوات مكونة من 2000 جندي مسلحين بالرشاشات والبنادق الحديثة والمدفعية[1].

-في 21 مارس 1913 أقرت الإقامة العامة حامية عسكرية مخصصة لاحتلال تادلا تحت قيادة مونجان Mangin وكانت مكونة من ست كتائب وثلاث سرايا ومجموعتين من الكوم.

- في معركة القصيبة سنة 1913 ترأس مونجان 130 ضابطا و4200 جنديا دون تعداد المغاربة.[2]

ولا بد من الاشارة إلى مشاركة المغاربة إلى جانب قوات الاحتلال. فبعد احتلال قصبة تادلا أمر اليوطي بإعادة بناء كيش آيت الربع. فاستقدموا من فاس قائد الرحى بوعودة، إلا أن هذا الأخير توفي في نفس السنة فخلفه نائبه بوجمعة المسفيوي الذي عمل على تجنيد عناصر من بني معدان وبني

[1] Peyronnet, Tadla, pays Zaian, Moyen Atlas, Alger,…Guillaume, op. cit., p.127

[2] Ibid., p.137

عمير وصل تعدادها في المرحلة الأولى إلى 1500 رجل. وشارك كيش آيت الربع في جميع المعارك بالسهل والدير والمنطقة الجبلية، وعين بوجمعة فيما بعد باشا على منطقة تادلا.

كانت القوات الاستعمارية تستعمل أسلحة حديثة ومتطورة، فما هي أنواع الأسلحة المستعملة والتي رجحت كفة الفرنسيين؟

2. الأسلحة

أمام المقاومة التي أبداها سكان تادلا والمناطق الجبلية، استعملت قوات الاحتلال آلات حربية حديثة ومتطورة. فالرشاشات أصبحت تستعمل بطريقة منتظمة ابتداء من سنة 1914. واستعملت كذلك المدفعية الخفيفة والثقيلة وخاصة مدافع من عيار 65 م و75 س. كما أن الاستعمال الكثيف للمدفعية أدخل الرعب في قلوب السكان. في هذا الصدد عبر الشاعر الأمازيغي عن يأسه لوحشية القصف:

سيحطمون شعيركم يا قبيلة آيت بوزيد
في اليوم الخامس عشر من مارس سيظهرون على ترابكم
وسوف تري يا أخي ميمون كيف هي طلقات المدفع
المدفع الذي لا تستطيع أن تحتمي من طلقاته في منزلك

لو تختفي في الأحراش البعيدة وبين الصخور

تسقط عليك القنابل وكأنها ضربة يد

آيت عتاب لم يتمكنوا من الصمود

ماذا يمكن أن يفعله آيت بوزيد[1]

باستعمال هذه الأسلحة كانت الجيوش الفرنسية متفوقة في العدة، وكانت قوات الاحتلال تستعمل كذلك وسائل الاتصال، الراديو والتلغراف، ووسائل النقل، الشاحنات.

لكن الوسيلة التي رجحت كفة المستعمر، وأصبحت الوسيلة الفعالة للغزو هي الطائرة. واستعملت لأول مرة في تادلا سنة 1913[2]**. وفي سنة 1916 كان يوجد بالمغرب 100 طائرة و 580 مختص، بل إن المغرب أصبح مدرسة لتجربة الطائرات الجديدة. في هذا الصدد يقول المارشال فايول Fayolle: " يشكل المغرب حاليا أحسن مدرسة لتدريب الطيارين"**[3]**. وأدى**

---

[1] Berger, François, Moha ou hammou le zaiani, Marrakech, 1929, p.124.

تمت ترجمة هذه القصيدة من الفرنسية إلى العربية لعدم تمكننا من ايجاد النص الأصلي بالأمازيغية وكذلك القصائد الأخرى الواردة في هذا الدراسة رغم عدم مطابقتها كلية للأصل. ولكن الهدف هو إظهار تأثير استعمال الأسلحة في تفجير قريحة الشعراء إبان الغزو. ومن هنا التساؤل حول العلاقة بين الغزو والانتاج الأدبي.

[2] Guillaume, op. cit., p.134

[3] Ibid

الاستعمال والقصف الكثيفين إلى نشر الرعب بين السكان، فظهر المسيحي وكأنه مخلوق ذو قوة خارقة كما يظهر من خلال القصيدة التالية:

اللقلاق طار من تنانت ومنقاره مليء بالنار
الآعالي أصبحت في خدمته فهي بدورها تقصف
آه "تيريكراف" إلى أين تحملين التغير
سرقت للطائر جناحيه وللأسد صوته
فأنت تحملين النار والقنابل
عندما نسمع صوتها الرعب يملأ قلوبنا
الطائرة قصفتني قرب المنزل، انا وماشيتي وكلابي
عندما أخرج القطيع والماشية
تظهر الطائرة والرشاشة القاتلة
آه المكان الذي تتواجدين فيه لن أقطنه
فالطائرة في آعالي السماء القنابل لا تصيبها
فهي بعيدة عن يدي لا يمكنني إصابتها[1]

باستعمال هذه الأسلحة الفتاكة تمكنت قوات الاحتلال من إخضاع مجموع المناطق التادلية بين 1912 و 1917 . ورغم استمرار المقاومة في الجبال تمكن الاحتلال من التحكم في السهل ومنطقة الدير من واد العبيد إلى إغرم لعلام، واتخاذ المنطقة قاعدة متقدمة لإخضاع قبائل الأطلس المتوسط في مرحلة أولى والأطلس الكبير في المرحلة الثانية.

[1] Berger, op. cit, p.135

3. الوسائل الاقتصادية والسياسية

لإجبار القبائل على الخضوع لجأت قوات الاحتلال إلى وضع خطط استراتيجية لتدمير اقتصاد القبائل باحتلال الأراضي ونهب المواشي ومخازن الحبوب ومنع المراعي وحرق المحاصيل...الخ. أي بعبارة أخرى وضع اليد على وسائل عيش القبائل. غالبا ما كانت قوات الاحتلال تهاجم القبائل في وقت الحرث أو الحصاد لإجبارها على الدخول في مفاوضات للاستسلام أو منع عملية الحرث وتحطيم المحاصيل.

إذا مكنت هذه الوسائل من التقدم وإخضاع القبائل فقد طرح لقوات الاحتلال الاشكالية الناتجة عن التداخل بين القبائل الخاضعة والمقاومة والمترددة. في سنة 1913 أخضع الجنرال فرانشي ديسبيري Franchet d'Esperey قبائل تادلا الشمالية، السماعلة وبني زمو، ولكنهم ثاروا بعد وقت قصير وأخذوا في مهاجمة واد زم. وقام كل من موحا وسعيد وموحا وحمو بالتحالف مع القبائل العربية في السهل، فاستقر موحا وسعيد عند السماعلة وموحا وحمو بين أبي الجعد وأم الربيع. وكان الهدف هو منع قوات الاحتلال من التقدم ومساندة القبائل التادلية. ولم تتمكن القوات

الفرنسية من السيطرة على هذه القبائل إلا بعد إجبار القائدين على التراجع.[1]

لجأت قوات الاستعمار إلى فرض الذعائر وأخذ الرهائن وفرض الأعمال الاجبارية للتحكم في القبائل وفصل بعضها عن البعض الآخر. فبعد احتلال مدينة خنيفرة فرض الجنرال هنريس على قبائل زيان: خمسة ريالات لكل خيمة وفرس لكل عشرة خيام وبندقية لكل أربع خيام. هل كانت القبيلة قادرة فعلا على تأدية الغرامة بعدما دمرت الحرب اقتصادها؟ الاجابة على لسان هنريس وتتمثل في عدم الأخذ بعين الاعتبار قدرة القبيلة على تأدية الغرامة، ولكن ينبغي عليها تأديتها إذا كانت فعلا تريد الخضوع[2]. وفعلا فرض الفرنسيون على القبائل غرامات باهظة مما أدى إلى إفلاسها، وبعد استسلامها تصبح تحت تسلط قواد الاستعمار.

وكانت السلطات الاستعمارية تسخر وسائل سياسية أخرى تمهد الطريق للتدخل العسكري، فقد كانت تسعى إلى استقطاب الزعماء والقواد والشيوخ وتجنيد القبائل. ما هو دور المغاربة أثناء عمليات الغزو؟

---

[1] Guillaume, op. cit., p.135

[2] Rivet, op. cit., p.77

4. تصدع الجبهة: استقطاب واستعمال المغاربة

لم يكن بإمكان قوات الاحتلال السيطرة على البلاد لولى استعمالها للقوة المفرطة وبث التفرقة لتسريع عمليات الخضوع.

كانت العمليات تسبق دائما بعمل سياسي يعتمد على معرفة المعطيات الطبيعية والاثنية للدخول في مفاوضات قصد استقطاب العناصر القيادية لشق الصف وإضعاف المقاومة ونشر الفوضى. وبدلت سلطات الاحتلال جهودا كبيرة للوصول إلى غاياتها مستغلة التنافس التقليدي بين الزعامات ورغبة البعض في المحافظة على موقعه ورغبة البعض الآخر لتحقيق مطامع شخصية، في حين فرض على السكان الذين تم إخضاعهم بقوة النار والحديد، القيام بأدوار عسكرية إلى جانب المستعمر ومراقبة ومحاصرة القبائل المجاورة التي مازالت تحمل راية الجهاد. وعلى سبيل المثال لا الحصر الدور الذي قامت به قبيلة بني موسى ضد جيرانها بني عياط وآيت عتاب.

لذلك لا يمكن فهم عمليات الاحتلال والمقاومة دون الأخذ بعين الاعتبار المعطيات المذكورة التي أدت في كثير من الحالات إلى التداخل بين الخضوع والمقاومة، أي أن الحدود الجغرافية للمقاومة أصبحت غامضة ومبهمة. الأمر الذي أدى إلى نزاعات بين القبائل تم استغلالها من طرف المحتل.

لكن رغم هذا الواقع فشل المحتل في استقطاب مجموعة من الزعماء، من بينهم موحا وحمو الزياني وموحا وسعيد اليراوي. ففي يونيو 1912 أرسلت الاقامة العامة المنبهي[1]، وزير الحرب السابق في عهد المولى عبد الحفيظ وصديق موحا وسعيد للتفاوض معه. قبل هذا الأخير اللقاء، إلا أن المحادثات باءت بالفشل. وابتداء من هذا التاريخ اقترح المنبهي على اليوطي مهاجمة موحا وسعيد. كما فشلت المفاوضات لاستقطاب موحا وحمو الزياني رغم اتصال بعض أفراد عائلته بالفرنسيين بواسطة شيخ الزاوية الشرقاوية.

يظهر من خلال الوثائق أن السلطات الاستعمارية اتصلت ببعض قواد تادلا باستعمال محمد بن داوود الشرقاوي. ومن بين هؤلاء قائد بني عمير عبد الله بن جابر وقائد بني موسى ولد زيدوح. ولعب هذا الأخير دورا في هزيمة المقاومين بتاريخ 17 أبريل 1913.ففي هذا التاريخ زحفت قوات تحت قيادة مونجان نحو أم الربيع ووقعت معركة في مورجيلة. وانضم قائد بني موسى، والذي كان قد أخبر الفرنسيين بكل تفاصيل خطة المقاومين، أثناء المعركة للفرنسيين مما أسفر عن خسائر كارثية في صفوف المجاهدين. ومن نتائج المعركة تسارع خضوع بني موسى. ولا زالت الذاكرة الشعبية تحتفظ بقصيدة زجلية حول ولد زيدوح:

[1] Guillaume, op. cit., p.138

آه قلنا (اتركنا) من ضرب البارود

آه يا زيدوح

خيل تعلف وخيل تشوف

آه يا زيدوح

شجعت هذه الانتصارات الفرنسيين على الاستمرار في إخضاع مناطق تادلا. ومنذ هذا التاريخ توترت العلاقات بين قبائل الدير والجبل وبني موسى.

في هذا الاطار لعب الكلاويون دورا كبيرا إلى جانب قوات الاحتلال للسيطرة على بعض المناطق الجبلية سواء سياسيا أو عسكريا. حيث ساهموا إلى جانب كل من عبد الله وشطو قائد هنتيفة الجبل وصالح أوراغ قائد هنتيفة السهل في احتلال ممر الزمارير وخميس آيت مساض وآيت عتاب وآيت محمد وآيت بوكماز.

وقامت السلطات باستقطاب شيوخ الزوايا. ومن بين هؤلاء محمد بن داوود الشرقاوي. أما تاريخ الاستقطاب وإن كان غير معروف، فهو يعود بدون شك إلى وقت مبكر. حيث كان للشيخ علاقات مع القنصل الفرنسي بالدار البيضاء. واستعمله الفرنسيون لحث الناس على عدم جدوى القتال بالشاوية سنة 1908. كما تدخل لعقد لقاء بين العسكريين الفرنسيين وقواد

المنطقة بالبروج، ناهيك عن دوره الكبير في شق الكتلة الزيانية بزعامة موحا وحمو الزياني باستقطاب البعض من أبنائه.

بعد توقيع عقد الحماية تجمع بني عمير وهاجموا بني مسكين الموالين في حين تجمع في زاوية تارماست بني موسى وبني عياط وآيت عتاب وهنتيفة السهل، ووقعت معركة عنيفة انسحبت على إثرها قوات الاحتلال إلى مواقعها الخلفية. وعلى إثر الأحداث أمر اليوطي الجنرال فرانشي ديسبيري بالتركيز على إخضاع زعير وزمور وإرجاء قضية تادلا إلى وقت لاحق. فاضطر للتفاوض وساعده في هذه المهمة محمد بن داوود الشرقاوي حيث تم الاتفاق على تعويض بني مسكين عن خسائرهم.

أما في المنطقة الجبلية فقد تمكن مكتب الشؤون الأهلية من استقطاب شيخ زاوية سيدي عبد الله قرب أزيلال وشيخ الزاوية الحنصالية سيدي محا.

دعمت سلطات الاحتلال سياستها بالاستعمال الكثيف للمغاربة أثناء مختلف التحركات العسكرية. فعندما قرر مونجان مهاجمة موحا وسعيد الذي نزل إلى السهل لاعتراض قوات الاحتلال، كان من بين المجندين خيالة من بني زمور والسماعلة ووردیغة وهم الذين كلفوا بمطاردة زعيم آيت اسري. وفي الطريق نهبوا ماشية سمكط وكطاية. وخلال معركة القصيبة في يونيو

1913 كان ضمن القوات 1000 من خيالة القبائل التادلية تحت إمرة بيكارد الذي قتل في الاشتباكات. وأثناء الطريق كانوا ينهبون الدواوير ناشرين الرعب بين السكان. بعد الخسائر قام مونجان بإطلاق الخيالة المغاربة لنهب القصيبة وحرقها.

بعد الهزيمة العسكرية في القصيبة قررت سلطات الاحتلال ترسيخ وجودها العسكري والإداري بالمنطقة عن طريق إعادة تكوين كيش آيت الربع وتجنيد المغاربة لمحاصرة ومهاجمة إخوانهم. وتمتلئ حوليات الغزو بالأمثلة التي تحتاج إلى تركيب وتحليل. ونكتفي هنا بذكر ما وقع في سنة 1915. ففي مارس من نفس السنة كان ضمن برنامج العقيد ديبليسيس نهب وتدمير المحصول الزراعي لآيت الربع لوضع القبائل أمام خيارين: الخضوع أو المجاعة. شارك في هذه الحملة الباشا بوجمعة على رأس 400 خيال. كما تم استقدام مجندين من مختلف قبائل تادلا لحصد المحصول تحت حماية نيران المدفعية وعرفت المعركة باسم واد بوكاري.

أدت السياسة المتبعة ومسار الأحداث إلى انقسام القبائل والفخدات على نفسها. فقد انقسم أولاد عياد إلى فريقين: خاضع ورافض للاحتلال. وطلب الفريق الأخير مساعدة بني عياط وآيت عتاب وأيت بوزيد، فتكونت حركة كبيرة هاجمت الموالين بمنطقة الدير. في 11 يوليوز هاجموا أولاد مبارك

الخاضعين، وفي اليوم التالي هوجم أولاد الجابري. فتم إرسال 600 خيال موالي من بني عمير وتحركت الفرقة المتنقلة بقيادة ديبليسيس الذي تمكن من إعادة السيطرة على المناطق التي تم احتلالها سابقا، كما قام بفرض غرامات باهظة من بينها غرامة بقيمة 1500 ريال حسني على أولاد مبارك. ثم توجهت الفرقة إلى أولاد عياد التي تم الاستيلاء عليها وهدم منازل المقاومين وفرضت غرامة مالية على السكان. أما بني موسى فقد فرض عليهم كغيرهم من القبائل ليس فقط قطع علاقتهم مع الجبليين ولكن منعهم من ارتياد السهل.

من خلال هذه المعطيات، والتي لم يتم استيفاءها كلها، يظهر أن عمليات الغزو كانت عبارة عن حرب حقيقية. ولا بد من التمييز بين الخطاب الاديولوجي ومجريات التاريخ. إذ لا غرابة أن نجد تناقضا واضحا بين المصطلحات المستعملة من طرف السلطات الاستعمارية. فقد ظل المستعمر يستعمل مصطلح التهدئة Pacification عوض جبهة Front لإعطاء صورة مخالفة عما كان يجري في ساحات المعارك واعتبار الحرب مجرد عمليات شرطة لإخضاع القبائل السائبة أو المتمردة.

إن عملية الغزو ليست بنزهة عسكرية. ففي إحدى تقاريره لوزارة الحرب الفرنسية صرح اليوطي "بأننا في المغرب نقاتل كل يوم

وبشدة...فالمغرب ليس بمكان راحة للجنود". وبالفعل فإن المقاومين تمكنوا لمرات عديدة من إلحاق هزائم بالعدو واستغلوا الظروف الطبيعية والأخطاء الاستراتيجية لتحقيق مجموعة من الانتصارات رغم الوسائل الحربية البسيطة، كانتصار موحا وسعيد في القصيبة سنة 1913 وموحا وحمو في لهري سنة 1914.

إذا فعملية الغزو كانت عبارة عن حرب دموية شرسة سببت كثيرا من الخسائر البشرية ولكن من الصعب تحديد هذه الخسائر. فقد قدرت بعض الاحصائيات خسائر قوات الاحتلال ب 8622 جنديا فيما بين 1912 و 1933، إلا أن دانييل ريفي قدر عدد القتلى ب12583 فيما بين 1907 و 1925.[1]

أما الخسائر في صفوف المغاربة فيصعب تقديرها ولو بطريقة إجمالية. فبالإضافة إلى الشهداء في ساحات القتال هناك ضحايا الحصار والجوع والأمراض. فالحصار دمر نمط عيش القبائل القائم على التنقل بين الجبل والسهل. وإذا كنا لا نستطيع أن نعطي رقما عن عدد ضحايا التوسع الفرنسي، بالإمكان إعطاء صورة من خلال بعض المعلومات. فآيت اسري تحت قيادة موحا وسعيد فقدوا خلال معركة القصيبة سنة 1913، 930 شهيدا

[1] Rivet, op. cit.,p.67

وعددا كبيرا من الجرحى. وطوال فترة المواجهة وباستعمال الطائرات والرشاشات والمدفعية ارتفع عدد الضحايا في صفوف المغاربة مما يفند القولة الاستعمارية: " الحرب الاستعمارية تولد الحياة"

IV.التدخل العسكري بتادلا
المراحل

لم يكن سكان تادلا في معزل عن الأحداث التي عرفها المغرب خلال مختلف الفترات التاريخية بحكم الموقع الجغرافي والأهمية الاقتصادية والوضع الديمغرافي. ويستوطن تادلا المكونة من الدير والمناطق السهلية والهضاب العليا مجموعة من القبائل العربية والأمازيغية والمستعربة[1]. وكان يوجد بين سكان المنطقة علاقات متنوعة أملتها الخصائص الطبيعية وعلاقات الجوار والأوضاع السياسية سواء على المستوى الوطني أو الجهوي.

مع توقيع عقد الحماية يوم 30 مارس 1912 تعرضت المنطقة كغيرها من المناطق المغربية الأخرى للغزو العسكري. إلا أن الاحتكاك الأول مع المستعمر وقع قبل هذا التاريخ. فعملية الانزال بالدار البيضاء في غشت سنة 1907 أدت إلى انتشار فكرة الجهاد بين القبائل المغربية. وشارك مجاهدون من تادلا والأطلس المتوسط إلى جانب قبائل الشاوية لمنع الفرنسيين من

[1] اهتم مكتب الاستعلامات والذي سمي بعد سنة 1926 مكتب الشؤون الأهلية بجمع المعلومات حول القبائل بهدف إخضاعها وتنظيمها إداريا وقضائيا. وتتضمن وثائق الأرشيف الدبلوماسي في مدينة نانت الفرنسية، معلومات متنوعة حول القبائل كتبت من طرف ضباط المصلحة. وهي التي اعتمد عليها بيروني في دراسته حول تادلا، بلاد زيان والأطلس المتوسط وكيوم في دراسته حول الأطلس المركزي.

التقدم واحتلال المنطقة، في حين لعب محمد بن داوود الشرقاوي دورا لصالح قوات الاحتلال حيث كلف من طرف الفرنسيين لنشر الفوضى بين المجاهدين.

باحتلال الشاوية وصلت القوات الاستعمارية إلى مشارف تادلا. ويمكن التمييز بين ثلاث مراحل:

- المرحلة الأولى (1907-1912) وهي مرحلة الاحتكاك مع سكان تادلا.

-المرحلة الثانية (1912-1914) مرحلة التوسع باستعمال وسائل عسكرية هامة وإقامة مراكز وقواعد لاستكمال السيطرة على المنطقة.

- المرحلة الثالثة (1914-1918) وهي مرحلة الهيمنة وتحديد السياسة الأهلية واستعمال المغاربة بشكل مكثف وتحويل المنطقة إلى قاعدة لغزو المناطق الجبلية.

خلال هذه الفترة استعملت القوات الغازية مختلف أنواع الأسلحة من رشاشات وبنادق ومدافع. كما استعملت الطائرات انطلاقا من سنة 1913[1]. ولجأت إلى تدمير المحاصيل وقطع الأشجار وقصف قطعان الماشية.

[1] العروصي محمد، التدخل العسكري بتادلا والمناطق الجبلية المجاورة، منشورات كلية اللآداب والعلوم الانسانية، بني ملال، 1992، ص.116-117

وبإشراف من ضباط الشؤون الأهلية بتت العملاء لاستقطاب الأعيان والقواد وشراء ذمم بعض المغاربة وبت التفرقة بين القبائل لإضعاف المقاومة

رغم التفوق العسكري والسياسة المتبعة وقعت معارك ضارية بين السكان وقوات الاحتلال. مما يطرح عددا من التساؤلات حول طبيعة المواجهة وخصائصها. كيف تمكن الفرنسيون خلال الحرب العالمية الأولى من إخضاع مجموعة من المناطق رغم انخفاض عدد الجنود بالمغرب[1]؟ وما هو الدور الذي لعبه المغاربة إلى جانب قوات الاحتلال؟

1. مرحلة الاحتكاك (1907-1912)

أدت عمليات الانزال بالدار البيضاء سنة 1907 إلى مواجهات عنيفة بين قوات الاحتلال وقبائل الشاوية وإلى انتشار فكرة الجهاد بين مختلف القبائل المغربية. ففي غشت 1907 بعث زعماء الشاوية رسالة إلى المولى عبد

[1] ارتفع عدد الجنود بشكل ملحوظ بما فيهم الضباط خلال سنة 1912 مع الانتفاضة العامة في المغرب والطلبات المتكررة للإقامة، حيث ارتفع العدد من 43.000 في بداية يونيو إلى 72.000 في نهاية 1912. واستمر في الارتفاع إلى غاية اندلاع الحرب العالمية الأولى حيث وصل في غشت سنة 1914 إلى 90.000 لينخفض إلى 78.000 في بداية أكتوبر 1914 و 71.000 في بداية يوليوز 1915. وأخذ العدد في الارتفاع انطلاقا من سنة 1916 حيث وصل إلى 84.000 ، ثم حوالي 100.000 في صيف 1919.

Rivet, D., op. cit, tome 2, p.7-8

الحفيظ لمساعدتهم على مواجهة الفرنسيين وإمدادهم بالسلاح. وفي نفس الوقت تمت مبايعة المولى عبد الحفيظ بمراكش لعجز المخزن العزيزي على صد الفرنسيين وتحرير البلاد[1]. وبعث المولى عبد الحفيظ برسائل إلى القبائل لاستنفراها و"بدأت الاستعدادات للجهاد في تادلا والأطلس المتوسط وزعير". وفي شهر شتنبر بعث المولى عبد الحفيظ إلى الشاوية محلة مكونة من 1000 رجل[2].

كان موقف زعماء تادلا والأطلس المتوسط غير موحد. فموحا وحمو الزياني انظم منذ اللحظة الأولى للمولى عبد الحفيظ وقدم له إحدى بناته للزواج[3]، أما موحا وسعيد اليراوي فقد ساند في البداية المولى عبد العزيز، ولكن بعد انهزام هذا الأخير انظم إلى السلطان الجديد ورافقه إلى فاس مرورا بتادلا[4]. أما شيخ الزاوية الشرقاوية محمد بن داوود الشرقاوي فقد تم استقطابه في وقت مبكر. وباتفاق مع الفرنسيين قدم شيخ الزاوية على رأس محلة قوام أفرادها 1500 رجل، وخيم جنوب مديونة وحثه الفرنسيون على استعمال نفوذه لدى القبائل لدفعها للتخلي عن المقاومة ونشر الفوضى بين

---

[1] الخديمي، علال، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب (1894-1910)، حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية، الدار البيضاء، 1991، ص.317

[2] نفسه، ص.318

[3] نفسه

[4] Guillaume, op. cit, p.58

المجاهدين القادمين من مختلف المناطق خاصة تادلا والأطلس المتوسط. إلا أن خطة محمد بن داوود باءت بالفشل، فاضطر للعودة إلى بلاده[1].

لهذا فأول احتكاك وأولى عمليات المقاومة تمت خلال سنة 1907 عندما تم احتلال الدار البيضاء. ويظهر بوضوح أن المقاومة اندرجت في البداية في اطار الجهاد، إحدى القيم الأساسية في الاسلام الذي وجه حركات الأفراد والجماعات للدفاع ليس فقط عن المصالح الاقتصادية، لما يمثل الغزو من اغتصاب للأرض، ولكن المقومات الأساسية للمجتمع، الدينية والثقافية والسياسية. إلا أن الزحف عبر محاور مختلفة قسم المقاومة وجعلها تقتصر على الدفاع على مجالها الجغرافي لصعوبة التنسيق وسياسة السلطات الاستعمارية لتفتيتها للقضاء عليها.

باحتلال الشاوية أصبحت قوات الاحتلال على مشارف تادلا وتشكل تهديدا مباشرا للسكان. فقامت بعض فصائل ورديغة بالهجوم على بعض الموالين للفرنسيين. فنظم المقدم موفو حملة عسكرية في غشت 1909 ضد أولاد ابراهيم إحدى فرق ورديغة. ويعتبر هذا الحدث حسب المصادر التي تم الاطلاع عليها أول تدخل عسكري بتادلا[2]. وخلال هذه السنة زار محمد بن

[1] الخديمي، المرجع السابق، ص.320

[2] Peyronnet, op. cit., p.143

داوود وبعض قواد ورديغة الجنرال موانيي بالدار البيضاء وأعلن ولاءه للفرنسيين[1].

كان من النتائج المباشرة للتدخل الفرنسي اضطراب الأوضاع بالمغرب وتعدد ردود الأفعال. ففي المنطقة الجنوبية ظهر ماء العينين وقرر الزحف في اتجاه المناطق الشمالية بعد دخوله إلى مراكش. وتلقى أوبير الأوامر للتحرك في شمال تادلا لقطع الطريق على ماء العينين ومنعه من اجتياز واد أم الربيع. وكانت قوات أوبير مكونة من كتيبة سنغالية ومشاة من الكوم وفرقة من الفرسان بالإضافة إلى المدفعية، أي ما مجموعه 1200 جندي. اجتازت القوات أراضي ورديغة وتوقفت بأبي الجعد ثم قصبة تادلة فالقصبة الزيدانية ثم دار ولد زيدوح. وفي نفس الوقت انطلقت قوات أخرى تحت قيادة القبطان تريبالي واجتازت أم الربيع والتحقت بقوات أوبير بترماست ثم رجعت القوات إلى الشاوية[2].

من خصائص هذه المرحلة انتشار فكرة الجهاد بين السكان ومحاصرة المنطقة من الناحية الشمالية باحتلال الشاوية واستقطاب بعض الأشخاص

[1] الخديمي، المرجع السابق، ص.320

[2] Guillaume, op. cit.,p.59 ; peyronnet, op. cit., p. 147-148

ذوي النفوذ وخاصة محمد بن داوود الشرقاوي وتسخيره لخدمة الأهداف الفرنسية، كما تميزت أيضا بجمع المعلومات وصياغة المخططات العسكرية.

وظهر للفرنسيين الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية للمنطقة. ورأى مارتي أن السيطرة على تادلا يتطلب إنشاء أربعة مراكز عسكرية:

- مركز بأبي الجعد للتحكم في ورديغة وبني زمور ومراقبة جيرانهم الشرقيين زيان.

-مركز بقصبة تادلة لاخضاع آيت الربع وبني عمير ومراقبة إشقرن وآيت اسري.

-مركز في مشرع بنخلو للتحكم في بني موسى وبني عمير ومراقبة آيت عطا نومالو وآيت بوزيد وضمان الاتصال بين فاس ومراكش.

-إنشاء مركز على حدود بني خيران والسماعلة للسيطرة على هذه القبائل ومواجهة زعير وزمور[1].

إلا أن هذا المشروع عرف تعديلات موازاة مع عمليات التوسع وما رافقها من اطلاع مباشر على الأوضاع الديمغرافية والطبيعية والعمرانية. ومع

[1] Peyronnet, op. cit., p.145

توقيع عقد الحماية بفاس من طرف الوزير الفرنسي رونيو والمولى عبد الحفيظ بدأت مرحلة جديدة في تاريخ المقاومة سواء على المستوى الوطني أو الاقليمي.

2. مرحلة التوسع (1912-1914)

منح عقد الحماية لفرنسا الغطاء القانوني لإخضاع جميع مناطق المغرب لسلطات الاحتلال باسم السلطان. وأدى هذا الوضع إلى ارتفاع وتيرة الاضطرابات، فقامت القبائل بمحاصرة فاس، بينما بايع سكان المناطق الجنوبية الهيبة ابن ماء العينين الذي استقر بمراكش. أما سكان تادلا فلم يبقوا في معزل عن الأحداث، فتجمعت قبائل بني عمير بالبروج وهاجمت بني مسكين الموالين للفرنسيين، بينما نظمت بني موسى هجوما على الحامية العسكرية بدار الشافعي. ولقطع الطريق على الهيبة تحركت قوات من الشاوية تحت قيادة العقيد مونجان وزحفت عبر المناطق الواقعة جنوب واد أم الربيع. واجتمع المجاهدون من مختلف القبائل في سيدي بوعثمان ولكنهم هزموا وتفرقوا.

كما تم إقرار طابور احتياطي في مشرع بن عبو تحت قيادة العقيد كيدون دو ديف[1] الذي تلقى الأوامر من الجنرال اليوطي للهجوم على بني موسى ومعاقبتهم. وكانت المعركة قاسية تراجع على إثرها كيدون دو ديف إلى البروج ووصلت تعزيزات عسكرية هامة من كيسر والدار البيضاء. وترأس الجنرال فرانشي دي إسبيري مجموع القوات. وتطبيقا لأوامر الجنرال اليوطي القاضية بإخضاع زعير وزمور لتأمين الطريق بين الرباط ومكناس قرر الجنرال التفاوض مع زعماء تادلا، وساعده في هذه المهمة القبطان سيمون وشيخ الزاوية الشرقاوية الذي اتصل بالزعماء لاستقدامهم إلى البروج. وكان من بينهم عبد الله بن جابر قائد بني عمير وولد زيدوح قائد بني موسى وتم الاتفاق على تعويض بني مسكين عن خسارتهم السابقة. وبهذا الاتفاق تم تأجيل قضية تادلا لضرورة تنظيم الحملة العسكرية الكبرى ضد زعير وزمور[2].

انتقلت القوات إلى واد زم. ولعب محمد بن داوود الشرقاوي دورا في خضوع قبيلتي ورديغة والسماعلة للفرنسيين، فقد أرسل مقدم الزاوية الحاج إدريس للتفاوض مع هاتين القبيلتين[3]، وكعربون عن الخضوع قدمت القبيلتان المؤونة لقوات الاحتلال كما كانت تعمل مع المحلات المخزنية. وبعد إخضاع

[1] Peyronnet, op. cit., p.148

[2] Ibid

[3] تعرف المقدم الحاج ادريس على شارل دو فوكو أثناء مروره بأبي الجعد، ولكنه لم يبلغ عنه، مما يثير كثير من التساؤلات حول تاريخ بداية التعاون بين الزاوية الشرقاوية والفرنسيين.

زعير وزمور رجع دو ديف إلى واد زم يوم 16 دجنبر على رأس قوات قوامها 2600 جندي واعتبر أن " احتلال واد زم التي لا تبعد عن أبي الجعد إلا بأقل 16 كلم يعتبر خطوة متقدمة في سبيل االاحتلال النهائي لتادلا وواجهة لا غنى عنها لحماية المصالح الاستعمارية بالشاوية[1].

إلا أن التقدم الفرنسي بالمنطقة أدى إلى انتفاضة عارمة للقبائل وعزمها على التصدي لقوات الاحتلال ومهاجمة مواليهم. وخلال سنة 1913 كان الوضع على الشكل التالي:

-تجمع آيت الربع والأمازيغيين بزعامة موحا وسعيد في سيدي محمد النفاتي.

- تجمع بني زمور في واد بوكروم.

-نزول موحا وحمو الزياني واستقراره وسط بلاد السماعلة.

-انتفاضة جزئية لبني خيران ووردیغة[2].

فبات من الضروري إرسال قوات عسكرية إضافية إلى المنطقة، فوصل كل من العقيدين سيمون ومونجان على رأس قوات هامة. وعين مونجان قائدا أعلى للقوات وقام بنقل المركز من بير مزوي إلى واد زم.

[1] بوسلام، المرجع السابق، ص.296

[2] Peyronnet, op. cit., p.154

وتمكن مونجان خلال شهر مارس من مهاجمة موحا وحمو وإجباره على اجتياز واد كرو، وتنظيم حملات عسكرية ضد سكان تادلا الشمالية انتهت بإخضاع بني زمور والسماعلة وبني خيران[1]. وهكذا تمت السيطرة على قبائل تادلا العليا بل تم تجنيد أفراد هذه القبائل للمشاركة في إخضاع قبائل تادلا الجنوبية، إضافة إلى فرق الكوم. فخلال مهاجمة موحا وسعيد بمشرع النفاد في 7 أبريل 1913 كلف بني زمور والسماعلة ووردیغة بنهب كطاية إحدى قبائل آيت الربع. وفعلا تم نهب 1500 رأس من الماشية[2].

عرف شهر أبريل تحرك قوات الفرقة المتنقلة بقيادة مونجان انتهت باحتلال قصبة تادلا وتحويلها إلى قاعدة عسكرية واتخاذها منطلقا لإخضاع القبائل الخارجة عن سلطة الفرنسيين. كما تم إخضاع أغلبية فصائل بني عمير وبني موسى بعد اشتباكات عديدة مع قوات الاحتلال. ومن أهم الأحداث خلال المواجهات:

- انهزام بني عمير والمجاهدين الذين هبوا لمساعدتهم بزعامة عبد الله بن جابر.

[1] Ibid, p. 156-157

[2] Guillaume, op. cit., p.135

- انضمام قائد بني موسى ولد زيدوح للفرنسيين أثناء المعركة ومساعدته لقوات الاحتلال في إخضاع أغلبية فصائل بني موسى.

بهذه السيطرة تم الربط بين قوات الاحتلال بالحوز وتادلا[1]. وكان رد فعل القبائل التادلية الأخرى قويا. فقد اجتمعت في سيدي علي ابراهيم قبائل آيت عتاب وآيت بوزيد وبني عياط وآيت عطا نومالو وبني ملال وهاجموا مونجان في العين الزرقا في يوم 26 أبريل 1913. ورأى مونجان أن الاحتلال الفعلي لتادلا لا يمكن أن يتم إلا بالقضاء على مقاومة سكان الجبال. ولهذا قرر مهاجمة المقاومين في سيدي علي ابراهيم يوم 27 أبريل. واستولى على المرتفعات الاستراتيجية بالمنطقة. وفي الليل هاجم المجاهدون قوات الاحتلال وكبدوهم خسائر فادحة. وهكذا استمر القتال لمدة ثلاثة أيام كادت القبائل أن تستولي على المخيم لولا الاستعمال الكثيف لنيران المدفعية، بل إن قوات الاحتلال لم تتمكن من نقل القتلى وتركتهم في أرض المعركة. وكرد فعل أمر مونجان بتدمير أشجار الزيتون قبل التراجع إلى قصبة تادلا[2].

3.حاولت بني موسى منع قوات الاحتلال بقيادة مونجان من اجتياز واد أم الربيع فوقعت معركة في منطقة مورجيلة، وأثناء المعركة انضم القائد ولد زيدوح

[2] Guillaume, 0p. cit., p. 137

خصص شهر ماي لتحصين قصبة تادلا وجعلها مركزا دائما للقوات وتنظيم قبائل بني عمير وبني موسى الحديثة الخضوع وربط الاتصال مع قواد كيش آيت الربع.

وبعد الهزيمة العسكرية للفرنسيين بالقصيبة في يونيو سنة 1913[1] قررت سلطات الاحتلال ترسيخ الوجود العسكري والإداري وتجنيد سكان القبائل الخاضعة لاستكمال السيطرة على المنطقة. وفعلا صدر مرسوم بتاريخ 28 يونيو 1913 لإنشاء الدائرة المستقلة لتادلا تحت قيادة كرنيي ديبليسيس وتم تكليف بوجمعة بن مبارك المسفيوي، قائد الرحى بإعادة بناء كيش آيت الربع. وأصبحت الدائرة تتكون من ثلاثة مراكز: قصبة تادلا وأبي الجعد ووادزم[2].

وفي فاتح يناير 1914 ونظرا لأهمية الدائرة، تم تحويلها إلى منطقة تابعة للدار البيضاء. ولتدعيم الوجود الفرنسي تم إنشاء مركز عسكري بدار ولد زيدوح. وبهذه الاجراءات الادارية والعسكرية والسياسية بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الغزو والمقاومة.

---

2. انظر تفاصيل المعركة:

Peyronnet, op. cit., 161 sq; Guillaume, op. cit., p. 138 sq

[2]Peyronnet, op. cit., pp.167-168

3. مرحلة استكمال السيطرة (1914-1918)

مع توغل قوات الاحتلال وسيطرتها على الاراضي السهلية أصبحت الوضعية معقدة حيث خضع البعض للمستعمر بينما استمر البعض الآخر في الدعوة إلى الجهاد وهاجر آخرون بعد الاحتلال الكامل لمجالهم إلى المناطق الجبلية مما إلى تصدع الجبهة وإلى حدوث انقسامات على مختلف المستويات وظهور تناقضات حادة استغلت من طرف قوات الاحتلال لاستكمال السيطرة على المنطقة.

ففي بني ملال ظهر التيجاني الذي أخذ يدعو للجهاد وسعى علي إمهواش الزعيم الديني لآيت سخمان إلى توحيد زعماء المقاومة، موحا وحمو وموحا وسعيد وتكتلهم حول الزاوية الدرقاوية للمقاومة. وفي نفس الوقت قامت قوات الاحتلال بإشراف الباشا بوجمعة بإعادة بناء كيش آيت الربع. كما فرضت على قبيلتي بني عمير وبني موسى المساهمة بالفرسان للمشاركة في مختلف العمليات. وهكذا أخذ المجال الجغرافي للمقاومة في الانكماش، وكان رد فعل قبائل الدير والقبائل الجبلية وخاصة آيت سخمان وآيت اسري

تنظيم تجمع في بني ملال حيث وصل عدد المقاتلين 5000 فرد للهجوم على المراكز التي احتلها الفرنسيون ومنع قوات الاحتلال من التقدم[1]

كان رد فعل السلطات الاستعمارية سريعا. فقد قرر الجنرال ديبليسيس تحطيم المحصول الزراعي لآيت الربع لتعريض السكان للمجاعة. وترأس قوات عسكرية بلغ عددها 1500 جندي انضاف إليهم 400 فارس من آيت الربع الموالين تحت قيادة الباشا بوجمعة و 600 فارس من بني عمير بزعامة عبد الله بن جابر. في يوم 14 ماي 1915 وصلت القوات إلى سيدي لامين على واد درنة وكلفت مجموعات بحصد المحصول تحت حماية القوات. ووقعت اشتباكات عنيفة حيث تقدم المجاهدون على طول المنطقة الممتدة من تاكزيرت إلى بني ملال، ولكنهم تراجعوا لقوة نيران المدفعية. وكانت الخسائر حسب بيروني 200 شهيدا و 400 جريحا وقتل 200 فرس بينما كانت الخسائر في صفوف الموالين 3 قتلى و 11 جريحا. وبعد فشل المقاومين وانتصار قوات الاحتلال صدرت تعليمات للتقدم لاحتلال منطقة الدير وقصبة بني ملال. وانقسم السكان على أنفسهم وانعدمت الحدود بين الخضوع والمقاومة، فاندلعت النزاعات داخل القبائل. فأولاد عياد من بني موسى انقسموا إلى فريقين، فريق راغب في الخضوع وآخر في المقاومة. وطلب هذا الاخير مساعدة بني عياط وآيت عتاب وآيت بوزيد، فاجتمعت الحشود في

[1] نفسه

أولاد عياد في بداية شهر يوليوز سنة 1915. وقام رئيس دائرة بني موسى بجمع المسلحين من مختلف الفصائل الخاضعة لحماية المناطق المجاورة لأولاد عياد. وهاجم المقاومون أولاد مبارك والكرازة وأولاد الجابري وتحرك ديبليسيس على رأس قوة عسكرية، كما أمر عبد الله بن جابر بالتوجه إلى أولاد النمة على رأس 600 فارس. وهكذا تحولت المواجهة من مواجهة قوات الاحتلال إلى حرب بين المغاربة. وتمكنت قوات الاحتلال من إعادة سيطرتها علو أولاد مبارك وفرض ذعيرة بقيمة 1500 ريال، كما قامت بالسيطرة على أولاد عياد وتحطيم منازل المقاومين وفرض غرامة بقيمة 10.000 ريال، وتم تعيين قائدا جديدا. وفرضت سلطات الاحتلال على العياديين محاصرة القبائل الجبلية ومنعها من ارتياد المناطق السهلية مما أدى إلى اندلاع سلسلة من المواجهات بين بني موسى والسكان الأمازيغيين أسفرت عن عدد كبير من القتلى والجرحى إضافة إلى حرق ونهب القرى[1].

ظهر للفرنسيين أن الظروف أصبحت ملائمة لاحتلال قصبة بني ملال، وابتداء من منتصف شهر ماي تحركت القوات من قصبة تادلة وخيمت على بعد 2 كلم من المدينة وهاجمت الدواوير الموجودة في شرق وغرب بني ملال. وقامت القوات باحتلالها وفي 15 شتنبر تقدم أعيان بني ملال بزعامة الشيخ ادريس ولد ابراهيم وأعلنوا خضوعهم للفرنسيين واحتلت القوات المرتفعات

[1] Peyronnet, op. cit.,190

المشرفة على المدينة وفي شهر أكتوبر بدأت الأشغال لبناء مركز عسكري بأورير، وفي 12 نونبر رفع العلم الفرنسي فوق المركز الجديد[1].

ولإحكام السيطرة على الضفة اليسرى لأم الربيع ومحاصرة سكان الجبال قامت قوات الاحتلال بالسيطرة على منطقة الدير سنة 1917. فقصفت تاكزيرت وسيطرت على إغرم لعلام رغم عنف المواجهة وجعلت منه مركزا عسكريا. وفي يناير 1918 اعادت بناء قصر الزاوير وأقرت به فرقة من الكيش.

بهذه العمليات العسكربية سيطرت قوات الاحتلال على المنطقة السهلية ومنطقة الدير وأصبحت تادلا بثكناتها ومراكزها العسكرية قاعدة لغزو المناطق الجبلية بمساهمة فرق الكوم وفرسان القبائل التي حملت فيما قبل راية الجهاد.

[1] بوسلام، المرجع السابق، ص.198

مقاومة آيت سيدي علي إمهواش للاحتلال الفرنسي

معركة تازكزاوت (1932)

بعدما تمكنت فرنسا من اخضاع المناطق السهلية شرعت في احتلال المناطق الجبلية بطريقة منهجية. وخلال زحف القوات وقعت مجموعة من المعارك الضارية اتخذ بعضها شهرة خاصة في الكتابات الاستعمارية ومن بينها معركة تازكزاوت التي هي نموذج لآخر المواجهات بين المقاومين والقوات الغازية بمجراها ونتائجها. وتزعم المقاومين خلال المواجهات والحصار سيدي المكي وإخوانه. مما يثير تساؤلات حول نفوذ إمهواش وانخراطهم في المقاومة وخصائص وطبيعة معركة تازكزاوت.

1. نفوذ إمهواش وانخراطهم في المقاومة

ينحدر إمهواش من سيدي علي أوحساين الذي عاش خلال القرن الثامن عشر. وكانت أمه تلقب بتمهاوشت. وقد صنف دراك إمهواش ضن

قبيلة آيت ويرا والتي تنتمي بدورها إلى اتحادية آيت اسري. وعرفت العائلة أحيانا تحت اسم آيت سيدي علي وأخرى تحت اسم إمهواش[1].

كان سيدي علي اوحساين أحد أتباع الزاوية الناصرية وأحد طلبة شيخها محمد بن ناصر المتوفي سنة 1674 بتامكروت. توفي سيدي علي أوحساين بين سنة 1730 و 1735. وخلال القرن التاسع عشر أصبح آيت سيدي علي تابعين للزاوية الدرقاوية.

حسب المصادر كان نفوذ آيت سيدي علي يشمل في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين قبائل بني مكيلد وإشقرت وآيت إحند وآيت سخمان، أي رقعة جغرافية تشمل مناطق من الأطلس المتوسط والأطلس الكبير. إلا أن مركز النفوذ كان هو قبيلة آيت سخمان التي كانت تتكون من قبائل آيت عبدي وآيت داوود وعلي وآيت سعيد وعلي وآيت حمامة[2]. وقدر عدد العائلات السخمانية في بداية القرن العشرين ب 4000 عائلة.

[1] Drague, G., esquisse d'histoire religieuse du Maroc, Paris, 1950, p.155

[2] Ibid., p.159

لعبت عائلة إمهواش أدورا تاريخية طلائعية منذ القرن الثامن عشر، الأمر الذي أهلها لتزعم قبائل المنطقة وقيادة عمليات المقاومة ضد جيوش الاحتلال.

منذ عمليات الانزال بالدار البيضاء في غشت سنة 1907 واحتلال الشاوية وتوغل الفرنسيين بالمنطقة الشرقية ووصولهم إلى بودنيب، انخرط إمهواش في المقاومة. وبتنسيق مع الزاوية الدرقاوية بمنطقتي فركلة ومدغرة قام سيدي علي بالدعوة إلى الجهاد[1]، فجمع قوات قدرتها المصادر الفرنسية ب 20.000 مقاتل[2]. إلا أن المقاومين الذين حاولوا اعتراض تقدم القوات الفرنسية ببودنيب لم يتمكنوا من إيقاف الجيوش الغازية لطبيعة السطح المنبسط وضعف التسلح، فانهزموا في المعركة. وبعد توصله بالخبر رجع سيدي علي إلى الجبل. كما أن سيدي علي حاول صد الفرنسيين في منطقة واد سرو. وتوفي

---

[1] "عندما تسامع حديث هذه المعارك الجهادية في بودنيب وناحيته وتطاير الركبان بخبرها إلى الآفاق، ذب الشعور في ذوي الغيرة والوطنية وخاصة أعيان البرابر الأطلسية، ومن هؤلاء الشيخ البركة الوجيه سيدي علي بن المكي امهوش الذي كان له صيت دائع في قبائل إشقرن وآيت سخمان وبعض قبائل آيت يفلمان. فقام في هاته القبائل التي تصغي إليه، ويعتقدون بركته فاجتمع عليه منهم الجم الغفير، وجاء يقصد بهم معسكر المجاهدين من بودنيب وناحيته حيث تجمعت جموع من الشرفاء وأهل تافيلالت في ناحية مضغرة...ولكن بدون جدوى...فجاء سيدي علي امهاوش ومعه جموع البرابر الأطلسية وخيم على الشرفاء أهل مضغرة...وقفل بدون أية مقاومة تذكر له في هذا التاريخ"
المنصوري، أحمد، كباء العنبر من عظماء زيان والبربر، تحقيق محمد بن لحسن، الرباط، 2004.

[2] نفسه، هامش رقم 1، ص. 208

سيدي علي سنة 1918[1]، فخلفه ابنه سيدي المكي بطل معركة تازكزاوت. وقد بذلت السلطات الفرنسية جهودا كبيرة لاستمالة سيدي المكي. فما هي طبيعة الاستقطاب؟

2. فشل سياسة استقطاب سيدي المكي

لاستكمال السيطرة على المغرب لجأ المستعمر إلى وسائل متعددة من بينها سياسة الاستقطاب والاستعمال الكثيف للمغاربة في المواجهات العسكرية وبث التفرقة عن طريق الرشاوى وتوزيع الوعود. وقد تم نهج هذه السياسة بجميع جبهات المقاومة، الأمر الذي أدى إلى تصدعها. ومن هنا ضرورة التساؤل حول الاستراتيجية السياسية والعسكرية للاحتلال وطبيعة الأدوار التي قام بها القواد وشيوخ الزوايا وأعيان القبائل أي الزعامات التقليدية.

منذ تعيينه مقيما عاما بالمغرب اتبع اليوطي سياسة تقوم على استعمال القوة العسكرية والوسائل السياسية عند غزو أو احتلال أية منطقة لترهيب السكان وبث التفرقة وتحطيم اقتصاد القبائل لإجبارها على الخضوع[2]. وكانت العمليات العسكرية تسبق دائما بعمل استطلاعي وسياسي

[1] Drague, op. cit., p.157

[2] Rivet, op. cit., p. 165

لمعرفة المعطيات الطبيعية والاثنية والدخول في مفاوضات مع زعماء القبائل والشيوخ والأعيان بهدف استقطابهم. وبهذه السياسة تم استقطاب مجموعة من العناصر ساهمت في شق الصف وإثارة الفوضى وإضعاف المقاومة، مستغلة التنافس التقليدي بين مختلف الزعامات. وبعد الخضوع كان يفرض على السكان، بعد دفع الغرامة وتسليم الأسلحة، المساهمة العسكرية إلى جانب قوات الاحتلال. فأثناء معركة تازكزاوت ساهم في الحصار والهجوم فرق من زيان وآيت صغروشن وتادلا بالاضافة إلى فرق الكوم[1].

لهذا لا يمكن فهم عمليات الاحتلال والمقاومة دون الأخذ بعين الاعتبار هذه السياسة التي أدت إلى التداخل بين الخضوع والمقاومة أي أن الحدود الجغرافية للمقاومة أصبحت غامضة. الأمر الذي أدى إلى نزاعات داخلية بين أفراد نفس القبيلة وإلى حركة هجرة. ففيما بين 1922 و 1932 انضم إلى سيدي المكي جماعات من آيت داوود وعلي وآيت ويرا وآيت احند وآيت يحيى واشقرن بعدما تم احتلال مناطقهم[2].

لكن رغم هذا الواقع فشل المستعمر في استقطاب مجموعة من الزعماء من بينهم موحا وحمو الزياني وموحا وسعيد اليراوي وسيدي المكي.

[1] Guillaume, op. cit., p. 360sq

[2] Drague, op. cit., p.159

فمنذ 1922 أي بعد القضاء على موحا وحمو وانسحاب موحا وسعيد من القصيبة ولجوئه إلى آعالي الجبال حاولت السلطات الفرنسية استقطاب سيدي المكي ولكنه رفض العرض. وآخر محاولة كانت اثناء حصار تازكزاوت حيث أرسل مبعوثين للتفاوض حول الاستسلام، فتم قتلهم تعبيرا عن الرفض المطلق. وأمام هذا الفشل اضطر دولوستال إلى تشديد الحصار والقصف للقضاء على مقاومة سيدي المكي وأتباعه[1].

3. معركة تازكزاوت

إلى غاية سنة 1932 تمكنت القوات الفرنسية من إخضاع مجموعة من المناطق بالأطلس الكبير بعد سيطرتها على الأطلس المتوسط. ومنذ ماي 1932 تقدمت الفرقة المتنقلة لتادلا من تيكلفت في اتجاه الشرق طارة أمامها آيت داوود وعلي وآيت عبدي. أما الفرقة المتنقلة لمكناس فقد انطلقت من تونفيت طاردة أمامها نحو الغرب جزءا من آيت يحيى وآيت حديدو. فتجمع اللاجئون تدريجيا ابتداء من شهر ماي بين أغدو وإكاسن حيث توجد مرتفعات تازكزاوت. وانضم إلى هؤلاء آيت سيدي علي إمهواش بزعامة سيدي المكي وتمت محاصرة اللاجئين من الشمال والشرق والغرب[2].

---

[1] Guillaume, op. cit., p. 360

[2] Ibidem

في شهر يوليوز وبواسطة الاستطلاعات الجوية وتحريات مكتب الشؤون الأهلية، علمت السلطات الاستعمارية بالتجمع التدريجي للسكان بمنطقتي أغدو وإكاسن، فتقدمت الفرقة المتنقلة واحتلت منطقة البحيرات، فأخلى اللاجئون منطقة إكاسن وتجمعوا حول سوق تافزا غرب منطقة تازكزاوت، في حين تقدمت الفرقة المتنقلة لمكناس فسيطرت على أنفكو والضفة الشمالية لأغدو غرب تازكزاوت. وأثناء هذا الزحف فشل مكتب الشؤون الأهلية في الاتصال بسيدي المكي وأتباعه. وتم تبني خطة عسكرية أولى تقوم على تشديد الحصار والتنسيق بين الفرقتين العسكريتين لتادلا ومكناس ودراسة الوضعية بدقة ووضع جميع القوات تحت قيادة الجنرال دولوستال. وكانت القوات مكونة من الفرق التالية.

-الفرقة المتنقلة لمكناس: أربع كتائب، ثلاث فرق من الكوم، سريتين، فرقة من المتطوعين المغاربة.

- الفرقة المتنقلة لتادلا: كتيبتان، بطاريتان من المدافع، ثلاث فرق من الكوم، فرقة من المخازنية، ألف من المتطوعين المغاربة[1].

ومع تقدم القوات وتشديد الحصار، توزع المقاومون على ثلاثة تجمعات:

- الجنوب الغربي لتازكزاوت

[1] Ibid., p.362

-منطقة تافزا

- الشمال الغربي لتازكزاوت

وكان الهدف من هذا التوزيع مراقبة تحركات القوات والاستعداد الدائم لصد أي هجوم وحماية العائلات والقطعان.

في 18 غشت اتفق الجنرال بويسون ودولوستال على خطة الهجوم وتنفيذه يوم 22 غشت، وتتمثل في: احتلال الأماكن المشرفة على المخيمات وتكثيف القصف بالمدفعية والطائرات ومهاجمة المخيمات من طرف الزيانيين.

ونظرا للاستعمال الكثيف للمدفعية والطيران تمكنت قوات الاحتلال من السيطرة على بعض المواقع رغم شراسة المقاومة، وأعطي الأمر للزيانيين والمجندين المغاربة للهجوم على المخيمات فوقعت معركة عنيفة بالسكاكين خلفت 18 قتيلا و 30جريحا في صفوف الزيانيين. في حين تكبدت القوات النظامية خسارة قدرت ب 21 قتيلا و35 جريحا. ولتفادي الخسائر أمر دولوستال بإيقاف الهجوم وتنظيم وتحصين المواقع المحتلة[1].

[1] Ibid., p.365-366

في يوم 23 غشت كثف المقاومون من هجماتهم لإجبار القوات على التراجع وفك الحصار، فهاجموا الزيانيين وقتلوا منهم أربعة، وحاولوا محاصرة قوات الاحتلال من الشمال والجنوب. وخلفت هذه الاشتباكات ثلاثة قتلى و ستة جرحى من بينهم ضابط. وفي اليوم التالي هاجموا فرقة العقيد بيرو ولكن تم ايقاف الهجوم بنيران المدفعية.

لتحطيم معنويات المقاومين كثفت قوات الاحتلال القصف بالمدفعية والطائرات[1]. وأمام المقاومة الشرسة والخسائر البشرية اضطر العسكريون إلى تدقيق المعلومات عن عدد المقاتلين ونوع الأسلحة الموجودة بحوزتهم. وبعد الاستطلاعات ظهر أن العناصر المحاصرة تتشكل من أكثر من ثلاث آلاف عائلة ويفوق عدد المحاربين الألف مسلحين ببنادق حديثة مع وفرة في الذخيرة. ونظم المقاومون الدفاع عن المخيمات بحفر الخنادق وإقامة الحواجز وتنظيم عمليات الحراسة ليلا ونهارا. كما تمت إقامة ملاجئ للعائلات لحمايتهم من القصف. ووزعت القيادة بين سيدي المكي وإخوته المهدي والمرتضى والمصطفى[2].

[1] Ibid., p.370

[2] Ibid., 372

أدت الاشتباكات وما نجم عنها من خسائر بشرية إلى تحطيم معنويات الموالين لدرجة أن زعيم زيان أصبح يشك في نجاح العملية وطالب بفترة لسحب المنهكين وتدعيم صفوفه بمحاربين جدد. وتبين للفرنسيين النتائج الخطيرة للفشل على مجموع منطقتي الأطلس المتوسط والأطلس الكبير. فاضطر الجنرال دولوستال للذهاب إلى الرباط لشرح الوضعية. وتم تبني خطة عسكرية جديدة تمثلت في:

-استمرار القصف بالطيران

-منع الاتصال بين المقاومين

-تعبيد طريق جديدة لتسهيل عمليات تمويل القوات

-تدعيم القوات ببطاريات مدافع وفرق عسكرية تم استقدامها من منطقة البحيرات.

-تجنيد 900 مغربي من خنيفرة

-تحديد مهام الفرق العسكرية بدقة

خلال الفترة الممتدة من 5 شتنبر إلى 11 من نفس الشهر حدثت مجموعة من الاشتباكات الدامية، إلا أن قوات الاحتلال تمكنت من التقدم في هذه المنطقة الوعرة والسيطرة على مواقع استراتيجية من بينها تافزا. وابتداء من 7 شتنبر أصبحت مواقع المقاومين مكشوفة تحت رحمة نيران المدفعية

والرشاشات. ومع تدهور الوضعية أرسل سيدي المكي مبعوثين للمطالبة بعقد هدنة لكن السلطات طلبت منه الاستسلام.

قامت قوات الاحتلال بتنظيم هجوم كاسح شاركت فيه جميع الفرق وتمكنت من الوصول إلى مخيم سيدي المكي بعد قتل المئات وأسر 300 مقاوم ونهب 5000 رأس من الماشية. وأدى الهجوم إلى السيطرة على تازكزاوت ووضع حد للمقاومة بهذه المنطقة[1].

وبأمر من سيدي المكي تقدم المقاومون بطلب الخضوع واستسلم سيدي المكي يوم 12 شتنبر 1932. وفي 13 شتنبر تلقى الجنرال هيري القائد الأعلى للقوات بالمغرب الاستسلام الرسمي لسيدي المكي. فعين قائدا على أغبالة نايت سخمان وبقي في منصبه إلى أن وافته المنية سنة 1942[2].

أدى الانهزام في تازكزاوت إلى إضعاف روح المقاومة بالأطلس الكبير وإلى حركة خضوع واسعة. واستشهد في المعركة إخوة سيدي المكي، المهدي والمصطفى والمرتضى. أما الخسائر في صفوف المقاومين فقد قدرت بالمئات.أما الخسائر في صفوف القوات النظامية والموالين فكانت كما يلي:

---

[1] Ibid.,373

[2] المنصوري، المصدر السابق، 252

-النظاميون: 6 قتلى و 55 جريحا

- الجنود الاضافيون: 29 قتيلا و56 جريحا

- الموالون: 76 قتيلا و 145 جريحا

وختاما تعتبر معركة تازكزاوت حدثا بارزا في تاريخ االمغرب لنتائجها السياسية والإستراتيجية وبهذا الصدد كتب كيوم " تشكل تازكزاوت بنتائجها المباشرة وصداها البعيد أحد الاحداث الكبرى في تاريخ التهدئة بالمغرب"[1].

[1] Guillaume, op. cit.,392

VI. الجغرافيا والسلاح

استراتيجية الاحتلال و المقاومة

بتادلا والأطلس المتوسط

بعد فرض الحماية على المغرب سنة 1912م، استغلت الحكومة الفرنسية بعض الأحداث واتخذتها ذريعة لغزو البلاد عسكريا، ومنها حادثة الدار البيضاء سنة 1907م. فشرعت في احتلال الشاوية المتاخمة لتادلا[1]. ونظرا للتهديد الذي أصبحت تمثله قوات الاحتلال هب سكان تادلا والمناطق الجبلية وخاصة الأطلس المتوسط للوقوف في وجه القوات الغازية مع انتشار الدعوة للجهاد[2] . وظهر جليا أن فرنسا لا يمكنها السيطرة على المنطقة إلا باستعمال القوة. فشرعت في عملية الغزو عبر مراحل امتدت من سنة 1907م إلى سنة 1934م.

[1]. انظر الخديمي، علال، التدخل الأجنبي و المقاوة المسلحة بالمغرب (1894-1910)، حادثة الدار البيضاء و احتلال الشاوية، الدار البيضاء، 1985

[2] .Peyronnet, Raymond, Tadla, moyen Atlas, pays zaian, Alger,1923, p.148 sq

إذا تمكن العقيد مونجان Mangin من السيطرة على سهل تادلا المنبسط في ظرف سنتين وإخضاع مختلف قبائله، فقد عانى صعوبات كبيرة منذ الاحتكاك الأول بالجبل.

ويدفعنا الصمود وإلحاق الهزائم بقوات نظامية متفوقة في التسلح إلى التساؤل عن خصائص الغزو العسكري والعلاقة بين التضاريس والإستراتيجية العسكرية للغزاة والمقاومين ومصادر وأنواع الأسلحة المستعملة خلال هذه الفترة الطويلة من المواجهة.

1.خصائص الغزو العسكري

لتبرير استعمال القوة وشرعنة الاحتلال تم غزو البلاد باسم السلطان تحت ذريعة إخضاعها لسلطته والقضاء على السيبة. وبما أن تادلا تتكون من ثلاث وحدات جغرافية متباينة، لكل واحدة مميزاتها وخصائصها[1]، فقد تغيرت طرق ووسائل الغزو حسب طبيعة كل منطقة. وللحيلولة دون اتحاد المقاومة، قسمت الجبهة والتي أطلق عليها جبهة تادلا-زيان إلى وحدات جغرافية مفصولة بمحاور بهدف عزلها وتحقيق الهدف السياسي والاستراتيجي. وفي اطار نفس السياسة عمدت سلطات الاحتلال إلى استقطاب شيوخ الزوايا والأعيان

[1] بوسلام،محمد البشير، تاريخ قبيلة بني ملال (1854-1916)، جوانب من تاريخ دير الأطلس المتوسط و منطقة تادلا، الرباط، ص.21-35

والقواد بواسطة الرشاوى والوعود. وفعلا فبفضل مساندة العبدي والكلاوي والمتوكي والكوندافي احتلت مجالات واسعة دون قتال من بينها منطقتي عبدة وسوس. لكن هذه السياسة فشلت جزئيا في تادلا والمناطق الجبلية. فإذا تمكنت قوات الاحتلال من استقطاب شيخ الزاوية الشرقاوية محمد بن داوود الشرقاوي[1] وبعض قواد المنطقة السهلية مثل ولد زيدوح قائد بني موسى[2]، فقد فشلت في استقطاب القواد الكبار بالأطلس المتوسط، أي موحا وسعيد اليراوي وموحا وحمو الزياني رغم المحاولات العديدة[3]. ولهذا أصبح استعمال القوة الوسيلة الوحيدة للإخضاع. وشرع مونجان Mangin في احتلال المنطقة السهلية. ورغم بعض الصعوبات فقد تمكن من استكمال السيطرة على أغلبية مناطق السهل سنة 1913. ولترسيخ التواجد العسكري أقيم نظام دفاعي بإنشاء مجموعة من المراكز العسكرية. ففيما بين 1908م و1909م قدم القبطان مارتي Marty مشروعا استراتيجيا يرتكز على المعطيات الجغرافية والإثنية لإنشاء أربعة مراكز للسيطرة على السهل و محاصرة الأطلس:

---

[1]. حول دور محمد بن داوود الشرقاوي، انظر الخديمي، المرجع السابق، ص.318-320.

[2]. استقطب ولد زيدوح من طرف سلطات الاحتلال قبل سنة 1912م. و انضم إلى الفرنسيين في خضم إحدى المعارك مع بني موسى مما أدى إلى خسائر بشرية كبيرة في صفوف المقاومين. و كان من نتائج المواجهة خضوع أغلب فخدات بني موسى.

[3] Guillaume, les berberes marocains et la pacification de l'Atlas central (1912-1933) Paris,1946,p.139

-مركز بأبي الجعد للتحكم في ورديغة وبني زمور ومراقبة زايان

-مركز بقصبة تادلا مع استعمال آيت الربع لمراقبة اشقرن و آيت اسري

-مركز في مشرع بن خلو للتحكم في بني مسكين وبني موسى وبني عمير ومراقبة قبائل الجبل: آيت عطا نومالو، آيت بوزيد، بني عياط والسيطرة على الطريق الرابط بين مراكش وفاس.

-مركز مؤقت على حدود السماعلة وبني خيران للسيطرة على هاتين القبيلتين ومواجهة زعير و زمور.

عرف هذا المشروع تعديلا بعد الاحتلال الفعلي للسهل، حيث تم انشاء مركز في دار ولد زيدوح للتحكم في المنطقة الجنوبية لتادلا و ثلاثة مراكز، واد زم وسيدي لامين ومولاي بوعزة للسيطرة على بني خيران ومراقبة القبيلة البربرية الكبرى زيان. وبعد احتلال قصبة تادلا سنة 1913م، أصدر اليوطي بنفسه التعليمات لاتخاذها مركزا عسكريا. وخصص شهر ماي من سنة 1913م لإصلاح القصبة وإقامة التحصينات الضرورية لاتخاذها مقرا

رئيسيا لقوات الاحتلال[1]. واستمرت عملية إنشاء المراكز العسكرية في المناطق الاستراتيجية موازاة مع تقدم قوات الاحتلال[2].

إلا أن القوة النظامية والتي لعبت دورا في احتلال تادلا و الأطلس المتوسط و الكبير بمشاركة الكوم والمخازنية والموالين المغاربة كانت هي الفرقة المتنقلة والتي اتخذت من قصبة تادلا مقرا لها.

تعتبر الفرقة المتنقلة أكبر وحدة قتالية وتضم جميع الأسلحة والخدمات. إلا أن تنوع الجبهات فرض استعمال وسائل تختلف من منطقة لأخرى. فالتقدم في السهل لا يتطلب نفس الوسائل للمناطق الجبلية المتنوعة الجبهات كذلك. إذ ينبغي تحديد عدد القوات اللازمة لكل عملية وتحديد أنواع الأسلحة حسب الحاجيات[3]. وكانت الفرقة المتنقلة والتي شاركت في مختلف المعارك إلى غاية إخضاع آخر جيوب المقاومة بالأطلس تتكون من :

---

[1] Peyronnet, op.cit,p.137

[2]. بعد استكمال السيطرة على السهل و منطقة الدير من طرف قوات الاحتلال سنة 1917م باحتلال إغرم لعلام اقيم بتادلا مجموعة من المراكز العسكرية للتحكم في السهل و اتخاذها قواعد عسكرية للعمليات اللاحقة و من أهمها: واد زم،قصبة تادلا، دار ولد زيدوح، بني ملال، إغرم لعلام

[3] أورد بيروني و كيوم في كتابيهما المذكورين و خلال تناولهما للعمليات العسكرية بسهل تادلا و الأطلس المتوسط و الكبير عدد القوات المجندة لكل عملية: القوات النظامية و الكوم والمخازنية و الموالين و كذا أنواع الأسلحة. و الملاحظ هو ارتفاع عدد الموالين بعد سنة 1922م، خاصة بعد إخضاع زايان و الاستعمال الكثيف للطيران و المدفعية و تغيير الاستراتيجية العسكرية بإخفاء تمركز

-ضابط سامي، قائد الفرقة. وتوالى على هذا المنصب العقيد مونجان Mangin وكارنيي دو بليسيس Garnier Duplessis والعقيد أوبير Aubert والعقيد دو لوستال Loustal

-أركان حرب، ثلاثة إلى أربعة ضباط

-ما بين ستة إلى سبعة أفواج

-فرقة من الخيالة مكونة من سريتين

-فرقة المدفعية، بطاريات من عيار 75م و 65س

-سرب أو سربين من الطائرات من نوع فارمن Farmen

-فرقة أو فرقتين من الكوم ومئات المخازنية

بالإضافة إلى الخدمات: مصلحة الاشارة، الصحة، المصلحة البيطرية، الخزينة، البريد، الشرطة العسكرية، أي ما بين 6000 إلى 7000 جندي نظامي. وعززت القوات النظامية بقوات إضافية مكونة من الموالين المجندين في القبائل الخاضعة. كما تمت إعادة بناء كيش آيت الربع تحث قيادة بوعودة

القوات و اتباع أسلوب المباغثة و الهجوم ليلا مما قلل الخسائر في صفوف القوات النظامية و ارتفاعها في صفوف الموالين المكلفين بالهجوم الأول.

قائد الرحي في الجيش الحفيظي سنة 1913م، ثم تحت إمرة الباشا بوجمعة المسفيوي[1].

لتقليل الخسائر في صفوف القوات النظامية كانت مهمة الكوم والمخازنية والموالين هي القيام بالهجوم الأول. مما جعل الخسائر مرتفعة في صفوف المغاربة موالين ومقاومين ومنعدمة أو جد قليلة في صفوف قوات الاحتلال[2]. واستعملت أثناء عمليات الغزو أسلحة متطورة، البنادق الحديثة والرشاشات والمدفعية والطائرات. كما اتبعت الفرقة المتنقلة نفس الأساليب المتبعة أثناء الحرب العالمية الأولى أي كثافة النيران أثناء القصف للتدمير الشامل[3].

أما التكتيك الحربي فقد تم تحديده حسب التجارب الميدانية. فإلى غاية 1928م كانت الفرقة المتنقلة لتادلا تهاجم نهارا، الأمر الذي وفر للمقاومين الوقت لتنظيم صفوفهم. ولكن بعد تعيين لوستال Loustal على

---

[1] Guillaume, op. cit., p.102.

[2]. في بداية الغزو كانت الخسائر مرتفعة في صفوف القوات النظامية. بل إن قوات الاحتلال فقدت عددا كبيرا من الجنود في بعض المعرك كمعركتي القصيبة سنة 1913م و معركة لهري سنة 1914م. ولكن انخفضت الخسائر بشكل ملموس انطلاقا من سنة 1922م حسب ما أوردته المصادر الفرنسية.

[3]. العروصي، محمد، التدخل العسكري بتادلا و المناطق الجبلية المجاورة (1912-1916)، مجلة كلية الآداب و العلوم الانسانية، بني ملال، الملتقى العلمي لمنطقة تادلا 1992م، ص.116-117.

رأس الفرقة المتنقلة اعتمد تكتيك جديد وافق عليه اليوطي، يقوم على المباغتة وإخفاء أماكن تمركز القوات والتقدم ليلا والاستعمال الكثيف للطيران والتجنيد المتزايد للمغاربة مع محاصرة القبائل وقصف قطعانها وحرق محاصيلها[1].

رغم استعمال القوة المفرطة، كانت عملية غزو الأطلس طويلة وشاقة. وتطلب الأمر 22 سنة لإخضاعه. وساهم في هذا الصمود عدة عوامل من بينها التضاريس الوعرة للمنطقة الجبلية والأسلحة التي امتلكتها القبائل و التي وظفت حسب المكونات الطبغرافية لميادين المعارك. و من هنا العلاقة العضوية بين التضاريس والسلاح، أو بعبارة أخرى بين الجغرافية والحرب.

2. الجغرافيا و المواجهات العسكرية

استعمل الطرفان المتحاربان، أي قوات الاحتلال والمقاومون، الجغرافية كوسيلة للغزو أو للمواجهة والصمود. إلا أن الاستغلال كان مختلفا للاختلاف الموجود بين جغرافية عسكرية استعمارية وأكاديمية والمعرفة الجغرافية للمقاوم بمجال وميدان المعركة وتوظيفهما لصالحه، حيث شكلت

[1] نفسه

الممرات الضيقة المحاطة بالأجراف والقمم والأودية والخوانق والغابات أكبر حليف للمقاوم بجبال الأطلس.

فالعلاقة بين الجغرافية و الحرب هي علاقة وثيقة وقديمة كقدم التاريخ[1]. وقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى دور المجال في المواجهة و الدفاع[2].

في أوروبا وانطلاقا من منتصف القرن التاسع عشر، أصبحت الجغرافية تدرس لتكوين النخبة العسكرية.وبإلقاء نظرة على مؤلفات بعض الضباط الذين اهتموا بالمنطقة يظهر بوضوح التكوين الجغرافي من خلال الفصول المخصصة لجغرافية المنطقة[3]. وقد وضح الجغرافي تيوفيل لفالي Théophile Lavallée[4] في مؤلفه الجغرافية الفزيائية، التاريخية والعسكرية، الأسس المفاهيمية الأولى والتي ظلت مطبقة إلى غاية الحرب العالمية الثانية.

---

[1] تعبير مقتبس من فرناند بروديل في كتابه البحر الأبيض المتوسط و العالم المتوسطي في عهد فليب الثاني.

Braudel,Fernand, la mediterranee et le monde méditérranéen à l'époque de Phillippe II,Paris,1985,tome 2,p.191. "La piraterie, en Méditerranée, est aussi vieille que l'histoire"

[2]. ابن خلدون، عبد الرحمان، مقدمة ابن خلدون،بيروت،1981، ص. 52 تابع

[3] Cf. Guillaume, Op. Cit.,Peyronnet, Op. Cit.

[4] Théophile Lavallée,géographie physique, historique et militaire, Paris, 1853.

وشكل القاموس العسكري المنشور سنة 1892م مرجعا للضباط العاملين بالمغرب.

كانت مصلحة الاستعلامات التي تحول اسمها إلى مصلحة الشؤون الأهلية تضم من بين أعضائها جغرافيين عسكريين عملوا على وضع خرائط لمنطقة تادلا والأطلس المتوسط والكبير، يوجد عدد كبير منها في قصر فانسين بباريس، بهدف إعداد العمليات العسكرية وتحديد أماكن المنشآت الدفاعية وجمع معلومات حول السكان وإمكانياتهم الاقتصادية.

هكذا شكلت الجغرافية وسيلة للحرب[1] بين الأطراف المتقاتلة، جغرافية أكاديمية و "جغرافية تلقائية" إن جاز التعبير. وكان هناك تداخل بين المجال، كاطار استراتيجي ومصدرا للقوة والتكتيك الميداني أثناء المعركة. حيث أن التضاريس ساهمت في كثير من الأحيان في تحديد مصير المعارك بمنطقتي الأطلس المتوسط والأطلس الكبير. وشكلت منطقة الدير، على الأقل إلى غاية سنة 1917م، أي بعد احتلال بني ملال وإغرم لعلام مجال اتصال بين كتلتين جغرافيتين مختلفتين من حيث الخصائص الطبغرافية ومتحاربتين.

[1] Yves Lacoste, la géographie, ça sert, d'abord à faire la guerre, Paris, 1976.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن قوات الاحتلال لم يكن لديها في السنوات الأولى للغزو إلا معومات قليلة تنحصر أساسا في المعومات المجزأة التي جمعها شارل دو فوكو Charles de Foucauld وسكونزاك Segonzac[1] أثناء رحلاتهما الاستكشافيتين. فالأول جاب الجزء الغربي من الأطلس المتوسط، من بني ملال إلى دمنات عبر غنيم و واويزغت. وفي العودة، و بعد زيارة المنطقة الصحراوية، مر عبر الأطلس الكبير من زيز إلى ميدلت عبر تلغمت. أما الثاني، فقد عبر الأطلس المتوسط من أزرو إلى ميدلت وتسلق جبل العياشي. إلا أن معلوماتهما لا تمكن من وضع خرائط. حسب دو فوكو يشكل أسيف ملول المجرى الأعلى لزيز. ولم يتم التعرف على هذا الخطأ إلا بعد التحليق فوق المنطقة سنة 1926م.

أثناء المواجهات ازدادت أهمية الطائرات. فبفضل الصور الجوية تمكنت مصلحة الخرائط من وضع خرائط دقيقة عوض الرسومات العامة انطلاقا من معلومات المخبرين الأمر الذي أدى إلى تحول هام في الاستراتيجية العسكرية[2].

[1] De Foucauld ,reconnaissance au Maroc 1883-1884, Paris, 1888. Segonzac, Edmond, voyages au Maroc,1899-1901, Paris,1903.

[2]. انظر محمد العروصي، المقال السابق.

وإذا استعملت قوات الاحتلال ما لديها من وسائل قصد التعرف على المجال لغزوه واحتلاله، فما هي الاستراتيجية العسكرية للمقاوم لاستغلال الميدان مع الفارق الكبير في التسلح؟

أشارت جل المصادر إلى أن قبائل الأطلس لم تخضع بسهولة ولكنها قاومت بما لديها من أسلحة إلى أن استنفدت جميع إمكانياتها. بل إن جميع الضباط أشادوا بشجاعة المقاوم في الأطلس، فقد كتب الجنرال كيوم: "هو أحسن محارب بشمال افريقيا، كاره للأجانب طبيعيا ووراثيا. شجاع إلى درجة التهور، يضحي بعزم بممتلكاته وعائلته وحياته للدفاع عن حريته. قليلا ما يثبت في الأرض. يتمتع بخفة عالية، في حين تشكل القوات الفرنسية البطيئة الحركة والمثقلة بالتجهيزات والأسلحة و المؤن...أهدافا ممتازة لرميته الدقيقة"[1].

نظرا لطبيعة التضاريس بالأطلس المتمثلة في الخوانق والأجراف والقمم والغابات، فقد تمكن المقاومون من الاحتماء من القصف الكثيف للرشاشات والمدافع والطائرات لوجود مخابئ طبيعية حصينة جعلت المقاوم غير مرئي وفي كل مكان. وساعدته على نصب الكمائن. " فقبل أن يتمكن المدفعيون والمشاة من تصور مخطط عام للهجوم وإقامة وسائل الاتصال تتم

[1] Guillaume,op. cit., p.79

عملية الهجوم في وقت غير متوقع وبسرعة كبيرة وفي لحظات يتم الاختلاط بالجنود وتحدث معركة بالسكاكين...و يختفي المهاجم بعدما يجهز على الجرحى وينهب الموتى مستوليا على الأسلحة والذخائر"[1]. وبما أن طبغرافية المنطقة وفرت فرصا عديدة للاحتماء فقد زادت من فعالية البنادق ذات الطلقة الواحدة لمهاجمة الفرق العسكرية. وسمحت بالمواجهة المباشرة التي تمكن من استعمال الأسلحة البيضاء: الخناجر والسيوف.

ولإظهار العلاقة بين التضاريس والسلاح نورد بعض الأمثلة من أرض المعركة نفسها. ففي سهل تادلا ذو التضاريس المنبسطة، تمكن مونجان في أقل من ثلاثة أشهر، ما بين 21 مارس و 10 يونيو سنة 1912م، من طرد كل من موحا وسعيد وموحا وحمو الزياني من السهل إلى الجبل[2]. وشكل سهل تادلا مسرحا ممتازا للمناورة العسكرية حيث مكنت الأسلحة المتطورة، المدفعية والبنادق الرشاشة والرشاشات وفي وقت لاحق الطائرات من ضمان تفوق ساحق ضد خيالة القبائل ضعيفي التسليح. ففي العين الزرقاء حاول المقاومون من قبائل آيت عطا نومالو وآيت بوزيد وبني عياط مهاجمة القوات الفرنسية الزاحفة، ولكن تم ايقافهم بالقصف الكثيف ومطاردتهم من طرف الخيال.

---

[1] Ibid, p.80

[2] François,Berger, Moha ou Hammou le zaiani, Marrakech, 1929, p.94

معركة سيدي علي ابراهيم أبريل 1913م: بعد اخضاع المنطقة السهلية، وصلت إلى مونجان أخبارا عن تجمع كبير للقبائل البربرية في سيدي علي ابراهيم، آيت عتاب وآيت بوزيد وبني عياط وآيت عطا نومالو. فقرر مونجان مهاجمتهم. وتمكن يوم 27 أبريل من التقدم وإقامة مخيم بالمنطقة والاستيلاء على مرتفع استراتيجي لحمايته. وفي الليل تعرضت كتيبة سنغالية للهجوم واشتبكوا معها بالخناجر، فاضطرت إلى التراجع للمخيم بمساعدة فرقة من الكوم. وفي 29 أبريل تعرضت قوات الاحتلال إلى هجوم عنيف تم صده بواسطة القصف الكثيف. كانت الخسائر في صفوف قوات الاحتلال كبيرة، فاضطرت بعد انسحابها إلى ترك القتلى في أرض المعركة.فانتشر خبر الانتصار وأقيمت الاحتفالات لمدة ثلاثة أيام[1].

نجاح في السهل وفشل في الجبل. في سيدي علي ابراهيم كانت قوات الاحتلال توجد في منطقة الدير الأمر الذي مكنها من التراجع والانسحاب دون صعوبة. وتظهر معركة القصيبة بوضوح العلاقة بين الاستراتيجيتين العسكريتين للمقاومة والاحتلال والتضاريس والأسلحة. وهي نموذج للمعارك في المنطقة الجبلية.

[1] حول معركة سيدي علي ابراهيم انظر:

Les jmo et historiques régimenta, zouaves et tirailleurs avant 1914, rapport du capitaine Chanson 1913 (document à notre possession); Guillaume, op. cit.,p.147

معركة القصيبة. الجبل والسلاح: منذ احتلال السهل، وأخذا بعين الاعتبار ماضي قائد آيت اسري كقائد مخزني، تمنى اليوطي استقطابه بمفاوضات سلمية. قاد المفاوضات الأولى كل من شيخ الزاوية الشرقاوية وقائد بني عمير، لكنها باءت بالفشل. فحاولت فرنسا للمرة الثانية استعمال صديقا له المنبهي، الوزير السابق للحرب في عهد المولى عبد العزيز. أثناء اللقاء وعد المنبهي موحا وسعيد بالاحتفاظ بقيادته في حالة الخضوع. فرفض موحا وسعيد العرض، بل إن المحيطين به نددوا بالمفاوضات مهددين المنبهي بالقتل[1].

ظهر أن الوسيلة الوحيدة لإخضاعه هي استعمال القوة بعد فشل الوسيلة السياسية. كان نفوذ موحا وسعيد يشمل مجموع قبائل اتحادية آيت اسري وقبيلة آيت سعيد وعلي السخمانية. فقرر مونجان مهاجمة القصيبة رغم تحفظ اليوطي، وظن امكانية تحقيق الهدف باستعمال مجموع القوات الموجودة بقصبة تادلا.

كان بامكان آيت اسري تجنيد آلاف المقاتلين. وحسب رواية بناصر الابن الأكبر لموحى وسعيد فقد كان آيت اسري مسلحين ب 15 بندقية قصيرة، طراز 1892، 18 بندقية طراز 1886 و 1893 و 1400 بندقية طراز

[1] Guillaume, op. cit., p139.

1874. بالإضافة إلى بوحبة وبوشوكة. إلا أن الأغلبية كانت تتقدم إلى المعركة بالخناجر سلاح المواجهة المباشرة[1].

توجد القصيبة عند مدخل تيزي نايت ويرا إلى جانب وهدة تنفتح على ممر زراعي يمتد على طول 12 كلم. يشرف على الوهدة من الجنوب المنحدرات الصخرية ومن الشمال عرف جبلي مشجر. ويصل القصيبة بالسهل ممرين:

_ في الغرب ممر عبر إغرم لعلام

_في الشرق ممر تاغزوت

كان تحت إمرة العقيد مونجان ستة أفواج، بطاريتان من عيار 65م و بطاريتان من عيار 75س، و سريتان من الخيالة وألف من الفرسان الموالين. أي ما مجموعه 130 ضابطا و 4200 جندي[2] . تم تقسيم المجموع إلى ثلاثة فرق تحت قيادة كل من مونجان والعقيد ماثيو Mathieu والملازم بيتريكس Bétrix. وكان الخيالة تحث قيادة بيكارد Picard الذي تميز في معركة سيدي بوعثمان ضد الهيبة.

[1] Ibid, p.145

[2] Ibid, p.139

في 8 يونيو1913م، على الساعة الواحدة صباحا، غادرت القوات قصبة تادلا. وفي الصباح استولت على إغرم لعلام. وتمت مواجهتها بإطلاق زخات من الرصاص من المرتفعات، إلا أنها تمكنت من اقتحام هذه الأخيرة والاستيلاء عليها وعلى منطقة سيدي بن داوود. تقدمت الأرتال العسكرية في خانق ضيق محاطا بالمنحدرات. ولم يتمكن الجنود من جر المدفعية من عيار 75س وسط الصخور. و أدى توقف المدفعية إلى توقف زحف القوات. في السابعة صباحا قرر مونجان التقدم بتشكيلة تضم ثمانية كتيبات وبطاريتين من عيار 65س وسريتين بالإضافة إلى الموالين. وتركت بقية القوات تحت قيادة العقيد ماثيو، المكلف بحراسة المدافع والقافلة. في الثامنة أصدرت الأوامر للزحف على القصيبة، وكان يتقدم الفرقة الملازم بيكارد على رأس الخيالة والموالين.

في التاسعة والنصف هاجم المقاومون الجناح الأيمن للقوات، ووقع اشتباك عنيف. وكان بيكارد قد انطلق مع الخيالة في اتجاه القصيبة. فانطلقت النيران من المرتفعات المشرفة على الممر المؤدي للقصيبة. وتعرض الخيالة الموالون لهجوم عنيف من الجانب الأيسر. استمر بكارد في الزحف، واستقبل بوابل من الرصاص. فتقدم إلى مرتفع بين القصيبة وقصبة موحا و سعيد. فظهر المقاومون من جميع الجهات و اختلطوا بقوات الاحتلال. في العاشرة و النصف حاول بيكارد الانسحاب والتوجه إلى مرتفع مشجر للاحتماء إلى غاية

وصول التعزيزات، لكن المقاومين شرعوا في طعن الجنود بالخناجر. ففر الخيالة صوب المنحدرات غير الصالحة لتحركات الخيول. فتم اعتراضهم وقنصهم، وأصيب بيكارد بطلقة في الظهر وتم إنهائه بطعنات السيوف. كانت خسائر قوات الاحتلال كما يلي: 32 قتيلا من بينهم ضابطين، 15 جريحا، وقتل 50 فرسا، وفر الباقون و أنقدوا بتدخل الموالين و فرقة عسكرية خفيفة.

فأمر مونجان قواته بالزحف على قصبة موحا وسعيد وبعد اشتباكات عنيفة تم الاستيلاء على القصبة وتدميرها بالمتفجرات. قبل الليل تراجعت القوات إلى سيدي بن داوود للالتحاق ببقية الجنود. و كانت الخسائر 41 قتيلا و70 جريحا

في يوم 9 يونيو 1913م أراد مونجان الانتقام للقتلى من الجنود. ووصلت الأخبار عن تجمع كبير في القصيبة فانطلقت القوات في اتجاه هذه الأخيرة. في العاشرة وصل مونجان إلى القصيبة، وبعد قصفها بالمدفعية، تم الاستيلاء عليها وأطلقت يد الموالين، فقاموا بنهبها وحرقها. ووجدت جثة بيكارد متفحمة في السوق. فقررت القوات التراجع إلى تادلا، ولكنها هوجمت في ممر تاغزوت، واستمرت الاشتباكات أثناء انسحاب القوات. و وصل مجموع الخسائر إلى أكثر من 100 قتيل و 140 جريح، و تركت أغلب الجثث

في أرض المعركة، و غنم المقاومون أسلحة و ذخائر. و في 11 يونيو وصلت القوات إلى قصبة تادلا[1].

في سيدي علي ابراهيم، الموجود على حدود السهل، كان بإمكان القوات التراجع والانسحاب دون صعوبة. أما في منطقة القصيبة فإن أسلحة قوات الاحتلال، المدافع والبنادق الرشاشة والرشاشات فقدت الكثير من فعاليتها لوعورة التضاريس ووجود الغابة. فاستغل المقاومون الجغرافية بكل أبعادها الاستراتيجية خلال أيام المواجهة. وظهرت صعوبة استعمال المدافع الثقيلة من عيار 75س وكذلك الخيول. كان من نتائج معركتي سيدي علي ابراهيم والقصيبة تشجيع قبائل الأطلس للاستمرار في المقاومة التي ارتكزت بالأساس على ما تملكه من أسلحة. فما هي مصادر وأنواع السلاح؟

[1] حول تفاصيل معركة القصيبة انظر

Rapport du capitaine Mondielli, commandant la 15è compagnie du 3ème zouave sur le combat de Ksiba le 10 juin 1913; Rapport du capitaine Chanson, commandant la batterie 2/1 de montagne, sur les opérations effectuées pendant les journées des 9 et 10 juin 1913 (rapports à notre possession); Guillaume, op. cit., p.137-143; Peyronnet, op. cit., p.164-165

3.مصادر و أنواع السلاح

خلال مختلف الفترات التاريخية امتلكت القبائل عدة أنواع من الأسلحة لأغراض متعددة. وخلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تنوعت المصادر، ويمكن تصنيفها على الشكل التالي:

الصناعة المحلية

المخزن

التجارة بما فيها تجارة التهريب

قوات الاحتلال

وما تنبغي الاشارة إليه هو أن البنادق التقليدية وخاصة بوحبة كانت تصنع في المدن الكبرى، فاس ومراكش، وتباع في الأسواق وبعض الدكاكين الموجودة في بني ملال وأبي الجعد وخنيفرة. وتشير المصادر الأجنبية إلى صنع البارود والخرطوش من طرف بعض الحرفيين المتخصصين. فالبارود المصنوع بمنطقة زيان كان يتشكل من ملح البارود ورماد الدفلى والكبريت. يسمى ملح البارود بالأمازيغية " تمز نبارود" أي شعير البارود. يستخرج ملح البارود من منجم قديم في جبل بوزل في واد سرو[1]. أما الدفلى فتنتشر بكثرة في البلد،

[1] Peyronnet, op. cit.,p.311

في حين يستجلب الكبريت من المدن. وفي بداية الغزو كان يتم اقتناءه بواسطة التهريب من المنطقة الاسبانية وكذلك الشأن بالنسبة للبارود و الرصاص. تستخرج مادة الرصاص من منطقة تسلت أروميت قرب القباب. يذاب في أفران على الشكل التالي: يتم رص طبقات من الخشب والمعدن إلى غاية امتلاء الفرن مع وضع فتحة في الأسفل لخروج المعدن المذاب، ثم يوضع في قالب على شكل ملعقة. واشتهر ثلاثة أشخاص من آيت حديدو بصناعة البارود والرصاص بآيت إسحاق[1].

كان الزيانيون يتزودون بالذخائر من بني ملال وتافيلالت، بل إن صناعة البارود انتشرت في عدد من الفخدات الزيانية: آيت شارط وآيت خويا و آيت بوهو. وكان موحا وحمو يستعمله لتعبئة الخرطوش. كما كان يمتلك شواحن آلية لتعبئة جميع عيارات الرصاص باستثناء عيار بنادق 1886 التي كانت تستقدم من أبي الجعد وفاس ومكناس[2].

ومن بين المصادر كذلك، الأسلحة الممنوحة من طرف المخزن للقبائل المتاخمة للمنطقة الجبلية ، التي غنمتها هذه الأخيرة أثناء مواجهتها للمحلات السلطانية، مثل الأسلحة التي غنمها آيت سخمان بعد هزمهم قوات الحسن

[1] Ibidem

[2] Ibid, p.312

الأول والتي تم استرجاع جزء منها من طرف موحا وسعيد كما قام المخزن بتسليح القواد. فقد سلح كل من موحا و حمو الزياني و موحا وسعيد اليراوي بالمدافع والبنادق.

فبفضل أسلحة المخزن تمكن موحا وحمو من فرض سلطته على زيان و مهاجمة آيت سكوكو وطردهم نحو الشرق. وأعلن نفسه سيدا لأزغار، بل أخذ في استخلاص الايتاوات مقابل الرعي. وتمكن موحا وسعيد من فرض سلطته على مجموع آيت اسري و جزءا من آيت سعيد و علي ومواجهة بقية قبائل آيت سخمان.

كما ازدهرت خلال هذه الفترة تجارة تهريب الأسلحة. واتهم الألمان، أثناء الحرب العالمية الأولى، بتزويد القبائل بالأسلحة والذخيرة. وإذا تأكدت هذه الحقيقة في الجبهة الريفية حيث نشطت تجارة التهريب مع المنطقة الاسبانية، لم يكن الأمر كذلك في منطقة الأطلس المتوسط لأن عدد البنادق الألمانية من نوع موزير Mauser التي تمت مصادرتها كانت أعدادها قليلة. وأغلب البنادق كانت فرنسية طراز 1874 و 1886.

من بين المصادر الرئيسية قوات الاحتلال نفسها. فقد اضطر الفرنسيون في اطار استعمال المغاربة إلى عدم مصادرة أسلحتهم بل تزويدهم بأسلحة أخرى. وهكذا وزعت بنادق من طراز 1874 و 1886. رغم المراقبة

الصارمة فقد عدد كبير من البنادق سواء بفرار بعض الأفراد أو أثناء هجوم المقاومين على الموالين[1].

وكان من نتائج أي فشل أو هزيمة أو اشتباك ليس فقط القتلى ولكن فقدان الأسلحة والذخائر. ويمكن أن نعطي فقط بعض الأمثلة. فخلال معركة القصيبة تم الاستيلاء على 300 بندقية وبندقية قصيرة. وفي سنة 1921م وأثناء محاولاتهم لفك الحصار عن بكريت، وقعت اشتباكات عنيفة، وتركت قوات الاحتلال جثت القتلى في أرض المعركة و استولى المقاومون على مجموعة من الرشاشات[2]. و في 2 يونيو 1921م، قدم حسن وعشرة من أبناء موحا وحمو الزياني مع الجماعات الزيانية لإعلان الخضوع أمام الجنرال اليوطي، فأعاد حسن المدافع والرشاشات التي تم الاستيلاء عليها في معركة لهري.

كان المقاومون يتسللون إلى المراكز للاستيلاء على الأسلحة، و هو ما أشارت إليه المصادر الفرنسية بحرفة "سرقة الأسلحة"، وربطت الظاهرة بارتفاع الأثمنة وليس بالمقاومة. ويذكر كيوم، فيما بين سنة 1919م و 1922م تمكن أحد الزيانيين المشهورين من الهجوم على مراكز متعددة و طعن 14 من

[1] Ibid, p.82

[2] Ibid, p.193

الحراس والاستيلاء على أسلحتهم. وكان ثمن البندقية يتراوح بين 1500 و 2000 فرنك.

كما أن خضوع قبيلة لا يمكن قوات الاحتلال من استرجاع مجموع أسلحتها. فغالبا ما يتخلص السكان من السلاح قبل الخضوع. ولوضع حد لهذه الظاهرة فرضت دعائر على العائلات المشتبه في تخلصها من السلاح.

أما فيما يتعلق بالأنواع، فبالإضافة إلى الأسلحة البيضاء، الخناجر والسيوف التي استعملت في المواجهات المباشرة كانت القبائل تمتلك بنادق تقليدية وبنادق ذات أصل أوروبي وهي كالتالي: بنادق شاسبو الفرنسية والمارتيني الايطالية والرمنكتون الانجليزية وقليل من بنادق الموزر الألمانية. وهي غالبا من طراز 1874، 1884 و1892. بالإضافة إلى الأنواع الأخرى التي تم الاستيلاء عليها أثناء المعارك (الرشاشات، البنادق الرشاشة والمدافع).

فيما يتعلق بالأثمان، ففيما بين 1919م و 1922م كان ثمن البندقية يتراوح بين 1500 و 2000 فرنك. واستمر ثمن الأسلحة في الانخفاض في حين ارتفع ثمن القمح والسكر. ففي سنة 1918م كان ثمن البندقية القصيرة طراز 1892م 2000 فرنك، و انخفض السعر إلى 400 ثم 200 فرنك في آواخر سنوات المقاومة.

ختاما يمكن القول بأن الجغرافية تحولت بعد سنة 1926م إلى سلاح فتاك بيد المحتل، حيث تمت إقامة المراكز العسكرية على المرتفعات الاستراتيجية وجهزت بالمدافع الكبيرة لقصف التجمعات السكنية فتحولت الجبهة إلى مجموعة من الجيوب الصغيرة المعزولة عن بعضها البعض مما أدى بقوات الاحتلال إلى تشديد الحصار وتكثيف القصف. وكان من النتائج المباشرة إبادة الانسان والحيوان. ولقلة مصادر العيش في آعالي الجبال اضطر المحاصرون إلى بيع ممتلكاتهم بأبخس الأثمان ليشتروا ما يسدون به رمقهم. بل تشير جل الوثائق إلى الحالة المأساوية لآخر الفخدات المقاومة المنهكة بالجوع والفقر المدقع.

VII.التشريع العرفي والحركة الوطنية

يشكل ظهير 16 ماي 1930، أو ما اصطلح على تسميته بالظهير البربري، مرحلة سياسية جديدة في التاريخ المعاصر للمغرب لما أحدثه من تحولات في المشهد السياسي، وما نتج عنه من تغيرات في علاقة السكان بالسلطات الاستعمارية، وما أوقعه من شرخ في النظام القضائي المغربي.

شكل إصدار الظهير البربري البداية للتحرك السياسي للحركة الوطنية، التي اعتبرت الظهير تهديدا للإسلام وللوحدة الوطنية المغربية، وتناقضا صريحا مع ما ورد في الفصل الأول من معاهدة الحماية الذي ينص على حفظ " الوضعية الدينية وحرمة السلطان ومكانته المعتادة وتطبيق الدين الإسلامي، وصون المؤسسات الإسلامية خصوصا مؤسسات الأحباس، وضمان تنظيم مخزن شريف على أساس إصلاحي ".[1]

حسب هذا البند، نصت معاهدة الحماية على الوحدة الترابية والدور الديني للسلطان، ولهذا اعتبر الظهير البربري تهديدا لوحدة المغاربة بتهديمه للوحدة التشريعية.

[1] انظر نص معاهدة الحماية، حركات، ابراهيم، المغرب عبر التاريخ، ج.3، ص.344

أدى صدور ظهير 16 ماي 1930، إلى حركة احتجاجية واسعة، سواء بالمغرب أو الخارج، وخاصة بدول المشرق العربي، وفوجئت سلطات الاستعمار بحجم الرد، واعتبر الظهير تقويضا لاختصاصات السلطان وتهديدا للوحدة الترابية للمغرب[1].

إلا أن صدور الظهير قبيل الانتهاء من اخضاع آخر جيوب المقاومة بالمناطق الجبلية كان خلاصة للأفكار الرئيسية الاجرائية للسياسة البربرية التي تم تبنيها منذ سنة 1912م[2]. فموازاة مع عمليات الاحتلال (احتلال المناطق الجبلية)، والتعرف ميدانيا على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والذهنية للسكان حددت أشكال التطبيق عن طريق تدوين الأعراف وتشريعها، وإنشاء المحاكم العرفية بالمناطق الأمازيغية لإضفاء الصبغة القانونية الالزامية على الأحكام والعقود. مما أدى إلى حركة احتجاج واسعة.

---

[1] حول ردود الفعل بعد صدور الظهير البربري، انظر بوعياد، حسن، الحركة الوطنية والظهير البربري، الدارالبيضاء، 1979

[2] Lyautey l'Africain, T.1, p.78

1.السياســـــة البربريـــــة

منذ سنة 1912، جندت فرنسا مجموعة من المختصين والعسكريين لجمع معلومات عن المناطق الأمازيغية لرسم معالم السياسة التي ينبغي اتباعها مع السكان الأمازيغ الهادفة مسبقا إلى الفصل بين العرب والبربر .

ففي 16 يونيو 1914 أصدر الجينرال هنريس Henrys أوامره إلى العسكريين أثناء العمليات بمنطقة الأطلس المتوسط بعدم تغيير الوضع الاجتماعي وعدم المساس بالأعراف بعد خضوع القبائل وإعطائها شكلا جديدا يبعدها عن التقاليد الاسلامية[1] .

في 7 يوليوز من نفس السنة بعث هنريس Henrys لليوطي تقريرا بعد احتلال خنيفرة يدعو فيه إلى المحافظة على العرف وتنقيته من الأشكال الاسلامية واعتباره الأساس للتنظيم الاداري والقضائي تحت مراقبة سلطات الاستعمار. ونص التقرير على جعل "الجماعة" مؤسسة قضائية تسهر على تطبيق العرف.

شكلا هذان التقريران الأساس لإصدار ظهير 11 شتنبر 1914 المكون من فصلين، والذي ينص على إدارة القبائل البربرية حسب قوانينها وأعرافها

[1] وثيقة بحوزتنا من الأرشيف الديبلوماسي في نانت الفرنسية.

الخاصة تحت مراقبة السلطات،وإصدار مراسيم من طرف الصدر الأعظم والكاتب العام للحكومة حسب الحاجة لإضفاء الشرعية على مختلف الاجراءات. وهكذا فإن ظهير 1914 تضمن المبادئ الأساسية للسياسة البربرية المستقبلية الهادفة إلى خلق تعارض بين الشرع والعرف[1]

لتدعيم هذه السياسة أنشأت لجنة الدراسات البربرية Comité d'études berbères التي ترأسها الكاتب العام للحكومة كيار Gaillard[2]**. ومن بين مرامي اللجنة، جمع المعلومات عن القبائل الأمازيغية، وخاصة توثيق الأعراف والتقاليد، لتصنيف القبائل: قبائل عرف أو قبائل شرع.**

نص ظهير 11 شتنبر 1914 على تسيير القبائل حسب القوانين والأعراف المحلية الخاصة بها سواء المكتوبة على الأوراق أو الألواح أو الشفوية.

كان سكان الأطلس الكبير سيتعلمون كلمة عرف، في حين استعملت كلمة إزرف Izref من طرف ساكنة الأطلس المتوسط. وبما أن مصدر الأعراف ليس إلاهيا، فقد رأى المشرعون إمكانية توجيهها من الناحية القانونية لخدمة

[1] Douté, Renseignements coloniaux, déc. 1901, p.173

[2] يوجد أسماء لجنة الدراسات البربرية في الجزء الأول من الأرشيف البربري حيث تم فيما بعد نشر كل ما يتعلق بالبربر.

الأهداف السياسية للاستعمار ومن بينها جعل الأمازيغ قوة مناقضة وموازية للعرب، كتحسب مستقبلي، لتوظيف التناقض المصطنع والقابل للتطوير في حالة تعرض المصالح الفرنسية للتهديد. ولتدعيم السياسة البربرية تبنت الاقامة العامة سياسة تعليمية وحركة التبشير لخدمة نفس الأهداف.

إلا أن التمييز بين العرف والشرع، سواء تعلق الأمر بالقانون الجنائي أو القانون الخاص لم يكن واضحا، لأن الأعراف كانت متأثرة بالتشريع الاسلامي، وكان المشرعون الاستعماريون على وعي تام بهذه الحقيقة، حيث أن القبائل لم تخل أبدا من الفقهاء والعلماء والزوايا الذين يمثلون الثقافة الاسلامية، بل إن السلطات الفرنسية وللحد من تأثير الاسلام و " تنقيته العرف من التأثير الاسلامي" حسب تعبير هنريس Henrys ، منعت تنقل العلماء والفقهاء بين القبائل الأمازيغية بدون رخصة. شكل هذا الإجراء أحد المطالب الأساسية للحركة الوطنية بعد صدور الظهير البربري.

بعد تأسيس لجنة الدراسات البربرية : Comité d'étude bébéres، استخلص مختلف الدارسون الاندماج بين الشرع والعرف. وكتب Nehlil أحد الأعضاء البارزين للجنة : " إذا لم ينجح الاسلام إلى اليوم في القضاء على مؤسسة إزرف، فمن غير المقبول أن يهيمن عليها مع التراجع المستمر للعرف لصالح الشرع ، مما سيؤدي في النهاية إلى اختفائه بحكم الدور الكبير الذي

يلعبه المرابطون والشرفاء وشيوخ الزوايا ، وإجمالا جميع الشخصيات الدينية التي لها تأثير وحظوة لدى السكان الأمازيغ"[1].

وأكد R.Montagne في دراسته على نفس التداخل، بل لاحظ عدم وجود تعارض وتناقض بين العرف والشرع، لأن القاضي يلجأ إلى العرف أحيانا لفض النزاعات، كما أن الجماعة تلجأ إلى الشرع[2].

نتيجة لهذا التداخل كلفت سلطات الاستعمار، مجموعة من الباحثين لحل الاشكالية واستخلص أحدهم استحالة تطبيق العرف بسوس لعدم تطابقه مع الشرع المنظم لحياة الأشخاص. والامكانية الوحيدة هي تطبيق الأعراف المتعلقة ببعض الجرائم كالسرقة والقتل.

لإنجاح السياسة البربرية وتطبيق الأعراف استعملت الجماعة كأداة للتطبيق، فالجماعة بطبيعة بنيتها، تعتبر الخلية الأساسية للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومن هنا ضرورة إخضاعها ومراقبتها من طرف السلطات. وموازاة مع تدعيم دور الجماعة قضائيا، قررت الإقامة العامة ولأهداف سياسية واضحة إنشاء جماعات قضائية . .Jamaa Judiciaire مع

[1] Archives Berbères, 1915-1916, vol.1, fascicule 2

[2] Montagne, R., les berbères et le maghzen dans le sud du Maroc.Essai sur la transformation politique des berbères sédentaires, Paris, 1930

تحديد مهامها. ولهذا ينبغي التمييز بين الجماعات القضائية التي تم إنشاؤها سنة 1915 والجماعات التقليدية القديمة. ومنح لها الحق في تسيير قضاء القبائل والبث في مختلف القضايا. وكان يتم تعيين أعضائها من طرف السلطات.

خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918)، لم تعرف هذه السياسة أي تطور. ومع انتهائها وإخضاع مجموعة من المناطق الجبلية تم تطوير هذه السياسة.

ففي إحدى رسائل اليوطي المؤرخة بتاريخ 10 يوليوز 1923 كتب ما يلي: " التقدم المستمر خلال السنوات الأخيرة بالأطلس المتوسط، وتصنيف عدد من القبائل ضمن قبائل العرف ذات الوضعية الخاصة حسب ظهير 11 شتنبربر 1914، والتوسع المترتب بعد توسيع العمليات وتقدم القوات يفرض إعادة تنظيم القضاء البربري الذي شرع فيه سنة 1915" . وفي نفس الرسالة، قرر المقيم العام وضع سجلات رهن إشارة رؤساء المناطق ومنحهم الحرية في اختيار مقرات اشتغال الجماعة القضائية.

كانت كل جماعة، تتكون من رئيس وأعضاء يتم اختيارهم حسب معرفتهم وإلمامهم بالأعراف. وعرفت سنة 1924 تحولا خطيرا في السياسة

البربرية بعد إنشاء مكتب الدراسات للمسائل البربرية بمديرية الشؤون الأهلية.

أحدث القضاء البربري بمجرد إجراءات إدارية. ونتيجة لهذا لم يكن للأحكام والعقود صفة قانونية أمام المحاكم. ولهذا اتخذ القرار لتسجيل الأحكام والعقود في سجلات خاصة لإضفاء الشرعية عليها. وفي 15 سبتمبر 1924 أصدرت الأوامر لتنفيذ الأحكام الصادرة عن الجماعة أي بعبارة أخرى، تحولت الجماعة القضائية إلى محكمة حقيقية يمكنها البث في القضايا المدنية والجنائية التي كانت من اختصاص الأجهزة المخزنية، القاضي، الباشا والقائد، وعبر تقرير اللجنة المجتمعة يوم 8 أكتوبر 1924 عن النوايا الحقيقية لهذه الإجراءات و المتمثلة في :

- تقسيم النظام القضائي
- تدعيم العنصر البربري، لخلق قوة يمكن استعمالها مستقبلا.
- التفريق بين العرب والبربر .

في أواخر سنة 1929 تم إنشاء 81 جماعة قضائية وفي نفس الوقت استمرت عملية تصنيف القبائل إلى قبائل عرف وقبائل شرع، واستمرت هذه العملية إلى غاية سنة 1941 رغم الصعوبات الناجمة عن التداخل بين الشرع والعرف، مما طرح مجموعة من المشاكل.

فمثلا قبيلة كروان في منطقة مكناس، تم تقسيمها إلى قسمين كروان الشمال، الخاضعة لأحكام الشريعة، وكروان الجنوب الخاضعة للعرف. ونفس المشكل طرح بالنسبة لقبيلة آيت سادن قرب فاس، وقبيلة زمور، وقبائل أخرى كثيرة. لأن مختلف أنواع التعاملات بما فيها البيع والشراء، وكذا أهم جوانب الأحوال الشخصية كانت خاضعة للشرع الإسلامي. كما أن تطبيق العرف كان من شأنه عرقلة عمليات شراء الأراضي من طرف المعمرين.

مع هذا التطور، وتعدد الأنظمة القضائية وما نجم عنه من مشاكل، ولتدعيم السياسة البربرية، تم تكوين لجنة لدراسة القضاء البربري يوم 7 دجنبر 1929 وكانت مهمتها الأساسية تتمثل في تحديد القواعد التنظيمية والقانونية للقضاء البربري لإضفاء الشرعية على أحكام الجماعات القضائية بواسطة ظهير. وبعد عدة مداولات تمت صياغة ظهير 16 ماي 1930 الذي شكلت بموجبه المحاكم العرفية في أغلبية المناطق الأمازيغية، بل بدأت السلطات في تحويل العرف إلى قانون إلزامي ومرجعية المحاكم.

بموجب ظهير 16 ماي 1930 تم إنشاء المحاكم العرفية بمختلف المناطق الأمازيغية. ومن بين هذه المحاكم ، محكمة أغبالة، أزيلال، تيلوكيت، القصيبة...الخ. وحسب مرسوم 16 أبريل 1928، فقد صنفت عددا من القبائل الأمازيغية المشرفة على تادلا ضمن قبائل العرف. من بينها آيت عطا نومالو ،

وآيت بوزيد وآيت سخمان وآيت اسري وآيت مساض...اي بعبارة أخرى مجموع قبائل الأطلس المتوسط والكبير.

حسب بعض الوثائق التي تم الاطلاع عليها، فقد كان يتم تدوين الأعراف في سجلات خاصة من طرف هيئة قضائية مكونة من :

-رئيس الدائرة .

-النائب .

-الحكام الرسميون.

-الحكام الملحقون.

-القائد والشيوخ والأعيان .

وبعد الإشارة إلى مضمون العرف الخاص بإحدى القضايا، يتم التداول لتغييره أو إلغائه أو إدخال إضافات. وحسب الأعراف، التي تم تدوينها لا يوجد حكم بالإعدام، من وغالبا ما يفرض العرف على القاتل أداء دية أو مصادرة أملاكه مع نفيه من القبيلة، وكذلك الشأن بالنسبة لحبس الأشخاص.

يظهر من خلال مختلف الأعراف، وجود مسؤولية جماعية خاصة فيما يتعلق بالاستغلال الزراعي والرعي واستعمال المياه، عصب الحياة بالنسبة لمجموع القبائل وأساس ثروتها .

ولإظهار طبيعة التشريع العرفي، نورد مثالا يتعلق بالإرث. في معظم القبائل الأمازيغية وحتى في القبائل العربية وعكس الشريعة الاسلامية، فإن المرأة تمنع من الارث، إلا أن هذا الاجراء لم يقتصر على القبائل الأمازيغية، بل كانت ممارسة جد شائعة وسط قبائل لضرورة المحافظة على ممتلكات العائلة والقبيلة وعدم انتقالها للأجانب.

2.ردود الفعل

أدت هذه السياسة، التي ابتدأت منذ سنة 1912، وتوجت بإصدار ظهير سنة 1930 وما رافقه من إجراءات تطبيقية بتشريع العرف وإنشاء المحاكم، إلى موجة عارمة من الاحتجاجات وأحدثت تحولا سياسيا في الساحة المغربية، فما هي طبيعة ردود الأفعال؟

وقع أول احتجاج شعبي ضد السياسة البربرية وإصدار ظهير 16 ماي 1930 يوم 20 يونيو 1930، والذي تزعمه عبد اللطيف الصبيحي الذي كان يعمل مترجما بعد توصله بنسخة من الظهير. واعتبر الظهير منذ الوهلة الأولى تقسيما بين العرب والبربر وتهديدا لوحدة العقيدة وللوحدة الترابية، بل إن الظهير اعتبر كارثة. فتجمع السكان في المساجد في مختلف أنحاء المغرب لقراءة وترديد اللطيف. ولعبت المساجد دورا رئيسيا في توعية السكان

بخطورة المشروع. إلا أن السلطات الاستعمارية تحركت يوم 13 غشت فمنعت قراءة اللطيف.

في نفس الوقت كونت لجنة بفاس للتفاوض، وتم الاتفاق على استقبال اللجنة من طرف السلطان بالرباط. وهذا اعتراف ضمني بالحركة الوطنية من طرف سلطات الحماية والحكومة .

وكانت اللجنة[1] مكونة من :

-حمزة الطاهري .

-محمد حسن الوزاني

-علال الفاسي .

-أحمد بوعياد .

-حسن بوعياد .

-العربي بوعياد .

-عبد القادر التازي .

-محمد الدويري .

-إدريس بن عبد الرحمان برادة .

[1] بوعياد، حسن، الظهير البربري....، ص.18-19

-أحمد مكوار .

وتمثلت مطالب اللجنة فيما يلي :

- احترام اختصاصات السلطان، وتدعيم سلطاته بمنح سلطة حقيقية لموظفي المخزن: قضاة،قواد، باشواة ومحتسبون وضمان استقلاليتهم وتبعيتهم للحكومة.
- إصدار ظهير من طرف السلطان ينص على خضوع القرى والمدن للمحاكم الشرعية .
- تنظيم المحاكم وإصلاحها.
- توحيد البرامج التعليمية.
- احترام اللغة العربية وجعلها الأساس في الإدارة والتعليم .
- إيقاف نشاط البعثات التبشيرية ودعمها المالي ،ومنع الرهبان من الإشراف على المدارس.
- السماح للفقهاء والعلماء بالتنقل بحرية .
- اعتبار مجموع المغاربة خاضعين للشرع.
- إطلاق سراح السجناء وعودة المنفيين.

لم تتم الاستجابة لهذه المطالب واستأنف الاحتجاج بقراءة اللطيف وألقى القبض على بعض زعماء الحركة الوطنية وتم نفي البعض الآخر.

على إثر هذه الأحداث، نظمت حملة في الصحافة العربية والفرنسية رغم المنع والحملات المضادة. فالظهير البربري أدى إلى تحريك مشاعر السكان، وكان نقطة الانطلاقة للحركة الوطنية. وقامت هذه الانطلاقة على ثلاثة عناصر رئيسية :

- ظهور نشاط سياسي وسط الشباب المغربي المتشبع بالثقافة الجديدة.
- اعتماد الرموز الدينية في مواجهة المحتل لتأكيد الهوية ولرفض سياسة التفرقة.
- توسيع النشاط السياسي بمشاركة واسعة للسكان.

وبما أن الفصل الأول من معاهدة الحماية ينص على احترام اختصاصات السلطان ووحدة المغرب، فقد اعتبر إصدار ظهير 16 ماي، تناقضا لما ورد في معاهدة الحماية لتكسير الوحدة التشريعية، ومحاولة ربط القبائل الأمازيغية بفرنسا عن طريق استعمال الفرنسية في التعليم . وأدت حركة الاحتجاجات إلى تدعيم التلاحم بين المغاربة بمختلف انتماءاتهم الاجتماعية والثقافية وخلق روابط متينة بل عضوية بين السلطان والزعماء السياسيين.

انطلاقا من هذا التاريخ، أصبحت الحركة الوطنية لا تدافع فقط عن الهوية، ولكن عن المجتمع في مختلف الميادين السياسية والإدارية والقانونية والاقتصادية، حيث وجهت انتقادات عنيفة للسياسة الاستعمارية في مختلف الميادين .

فالظهير البربري والسياسة المتبعة من طرف فرنسا في هذا المجال، كانت من بين الأسباب الرئيسية لظهور الحركة الوطنية وتطورها، وبلورة مشروعها السياسي، والذي ظهر جليا وبوضوح في وثيقة المطالبة بالاستقلال يوم 11 يناير 1944.

رغم كل هذه التطورات، فقد استمرت السياسة البربرية واستمرت المحاكم العرفية في الاشتغال إلى غاية الحصول على الاستقلال، وكان أول إجراء قام به جلالة المرحوم السلطان محمد الخامس، إلغاء التشريع العرفي والمحاكم العرفية.

تمثل السياسة البربرية إحدى ثوابت السياسة الاستعمارية، وهي التفرقة بين السكان والنخب على مختلف المستويات السياسية والاقتصادية والتشريعية واللغوية والاثنية. ومن بين العناصر التي تقوم عليها هذه السياسة، الاستقطاب لبث التفرقة عن طريق التهديد والاستعمال الوحشي

للآلة العسكرية، والحصار والرشاوى وشراء الذمم، وخلق مصالح مشتركة لإحداث تصدع في الجبهة.

ملحق

وثيقة رقم 1

تعريف وحدود تادلا زيان

"ما هي تادلا؟ هل إقليم تادلا-زيان والذي تعودنا على تسميته اختصارا بتادلا ليس إلا تعبير إداري؟ وهي فرضية يمكن تقديمها مسبقا.لأن البلدان في طريق الغزو أو البلدان الخاضعة حديثا لا يتوافق تنظيمها مع الظروف الطبيعية ،فقد يتأخر التطابق لعدم توفر الامكانيات والوسائل.وتفرض الظروف السياسية والأحداث العسكرية والطوارئ المالية على التوغل السلمي أو الحربي زحفا ذا منحنى غير منتظم وغير متوقع، وعلى إدارة الأقاليم أشكالا جد خاصة.

هل تادلا بالعكس منطقة طبيعية محددة المعالم، إقليم من الامبراطورية الشريفية لها حدود مرسومة بوضوح، ووجود خاص وخصائص متعارف عليها، وفي كلمة إن جاز التعبير: هل لها شخصية جغرافية؟ وهي أيضا فرضية لنا الحق في صياغتها. لأن افريقيا الشمالية هي بلد جد مقطع حيث تتواجد مجموعة من المناطق الشاسعة والتي تمتلك شخصية خاصة بها وتعيش حياتها والتي يمكن وصفها بسهولة وتختلف في نفس الوقت عن حياة المناطق الأخرى.

ولكن توجد تقسيمات جغرافية غير دقيقة. وتدل الأسماء على مناطق محيطهم غير المحدد. وأحيانا يتخذ معنى هذه الأسماء الجغرافية معنا فضفاضا وأحيانا معنا ضيقا. وتنبغي الاشارة عند الاستعمال إلى كيفية هذا الاستعمال. ففي المغرب مثلا، كلمة الغرب والحوز لهما معنى متغير. فأحيانا نعني باسم الغرب الجزء الصغير من الأرض الشريفية الممتدة من أبواب فاس إلى السواحل الأطلسية ولا تتجاوز في الجنوب بأي حال من الأحوال مجرى سبو. وأحينا أخرى ندمج كثل بني مطير وبني مكيلد وزعير وزمور أي تقريبا مجموع مغرب الشمال، مجموع العالم الروماني القديم. وكذلك الشأن بالنسبة للحوز، فأحيانا يدل على المنطقة الساحلية في الجنوب ومنطقة مراكش، وأحيانا أخرى نكتفي بدمج تحت هذا الاسم الشاوية ودكالة وعبدة وساحل موكادور ووادي تنسيفت. ولكن مجموع وادي أم الربيع والمنحدرات الأولى للأطلس وكذا وادي سوس.

فما هي إذا تادلا؟ مجرد تعبير إداري؟ إقليم محدد بوضوح؟ أم منطقة ذات محيط غير واضح المعالم؟

مما لا شك فيه وبالرجوع إلى النصوص التاريخية نجد باستمرار الاشارة إلى منطقة تسمى تادلا، التي لها مظهرها وحياتها الخاصة. ومما لاشك فيه

أيضا أن سكان الهضاب الفاصلة بين الأطلس والشاوية وضفاف المجرى الأعلى لأم الربيع يشعرون بوحدتهم بسبب تعدد صلات القرابة، ويعرفون أنفسهم بأهل تادلا."

Peyronnet, Raymond, Tadla, Moyen Atlas, pays zaian,

Alger, 1923, p.14

وثيقة رقم 2

خطاب المولى سليمان إلى الأمة لمحاربة البدع

باسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

يقول لكم أمير المؤمنين وناصر الدين المتمسك بسنن المهتدين وسنة الخلفاء الراشدين.

الحمد لله الذي تعبدناه بالسمع والطاعة، وأمرنا بالمحافظة على السنة والجماعة وحفظ ملة نبيه الكريم، وصفيه الرؤوف الرحيم، من الاضاعة إلى قيام الساعة، وجعل التآسي به أنفع الوسائل النفاعة، أحمده حمدا ينتج اعتماد العبد على ربه وانقطاعه، وأشكره شكرا يقصر عنه لسان البراعة، وأستمد معونته بلسان المذلة والضراعة، وأصلي على مولانا محمد رسوله المخصوص بمقام الشفاعة، على العموم والاشاعة، والرضى عن آله وصحبه الذين اقتدوا بهديه بحسب الاستطاعة.

أما بعد :

أيها الناس شرح الله لقبول النصيحة صدوركم، وأصلح بعنايته أموركم، واستعمل فيما يرضيه أمركم ومأموركم، فإن الله قد استرعانا جماعتكم، وأوجب لنا طاعتكم، وحذرنا اضاعتكم، " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"، سيما فيما أمر الله به ورسولهن أو هو محرم بالكتاب والسنة النبوية، واجتماع الأمة المحمدية " الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة" الآية.. ولهذا نرثي لغفلتكم وعدم إحسانكم، ونغار من استيلاء الشيطان بالبدع على أنواعكم وأجناسكم،.فألقوا لأمر الله آذانكم، وأيقظوا من نوم الغفلة أجفانكم، وطهروا من دنس البدع إيمانكم، واخلصوا أسراركم واعلانكم. اعلموا أت الله بمحض فضله أوضح لكم طرق السنة لتسلكوها، وصرح بذم اللهو والشهوات لتملكوها، وكلفكم لينظر عملكم، فاسمعوا قوله في ذللك وأطيعوا،اعرفوا فضله عليكم وعوه، واتركوا عنكم بدع المواسم التي أنتم بها متلبسون والبدع التي يزينها أهل الأهواء ويلبسون، وافترقوا أوزاعا، وانتزعوا الأديان والأموال انتزاعا، بما هو صراح كتابا وسنة واجماعا، وتسموا فقراء، واحدثوا في دين الله ما استوجبوا به سقرا "قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا " الآية. وكل ذلك بدعة شنيعة، وفعله فظيعة، وشيمة وضيعة، وسنة مخالفة لأحكام الشريعة، وتلبيس وضلال، وتدليس شيطاني وخبال، زينه الشيطان لأوليائه فوقتوا له أوقاتا، وأنفقوا في سبيل الطاغوت دراهم وأقواتا، وتصدى له أهل البدع من "عساوة وجلالة" وغيرهم

من ذوي البدع والضلالة والحماقة والجهالة وصاروا يرتقبون للهوهم الساعات، وتتزاحم على حبال الشيطان وعصيه منهم الجماعات. وكل ذلك حرام ممنوع ، الانفاق في انفاق غير مشروع، فأنشدكم الله عباد الله فعل رسول الله صلى الله علية وسلم لحمزة عمه سيد الشهداء موسما، وهل فعل سيد هذه الأمة أبوبكر لسيد الارسال، صلوات الله عليه وعلى الاصحاب والآل موسما، وهل فعل عمر لأبي بكر موسما وهل تصدى لذلك أحد من التابعين، رضي الله عنهم أجمعين ثم أنشدكم الله هل حرمت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المساجد، أو زوقت أضرحة الصحابة والتابعين الاماجد، وكأنى بكم تقولون في نحو المواسم المذكورة، وزخرفة أضرحة الصالحين وغير ذلك من أنواع الابتداع "انا وجدنا آباءنا على أمة" الآية.هذه المقالة قالها الجاحدون، هيهات هيهات لما توعدون، وقد رد الله مقالهم ووبخهم وما أقالهم. فالعاقل من اقتدى بآبائه المهتدين، وأهل الصلاح والدين. " خير القرون: الحديث". وبالضرورة لن ياتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها". فقد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعقد الدين قد سجل، ووعد الله بأكمله قد عجل: " اليوم أكملت لكم دينكم" الآية. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " أيها الناس قد سنت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض وتركتم على الجادة، فلا تميلوا بالناس يمينا ولا شمالا، فليس في دين الله ولا فيما شرع نبي اللهن أن يتقرب لله بغناء وشطح، والذكر الذي أمر الله به وحث عليه

ومدح الذاكرين به، هو على الوجه الذي كان يفعله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن على طريق الجمع ورفع الاصوات على لسان واحد، فهذه سنة السلف، وطريقة صالحي الخلف، فمن قال بغير طريقهم فلا يستمع، ومن سلك غير سبيلهم فلا يتبع، " ومن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيلا للمومنين" الآية. " قل هذه سبيلي أدعوا غلى الله" الآية. فما لكم يا عباد الله ولهذه البدع امنا من مكر الله،أتلبيسا على عباد الله، او منابذة لمن النواصي في يديه، أم غرورا بمن الرجوع بعد إليه، فتوبوا واعتبروا وغيروا المنكر واستغفروا، فقد أخذ الله بذنب المترفين من دونهم، وعاقب الجمهور لما اغضوا عن المنكر عيونهم، وساءت بالغفلة عن الله عقبى الجميع ما بين العاصي والمداهن المطيع، أفيزلكم الشيطان وكتاب الله بأيديكم، أو كيف يضلكم وسنة نبيه تناديكم، فتوبوا إلى رب الأرباب، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا" الآية. ومن أراد منكم التقرب بصدقة أو وفق لمعروف إطعام أو نفقة، لعلى من ذكر الله في كتابه، ووعد فيهم بجزيل ثوابه، كذوي الضرورة الغير الخافية، والمرضى الذين لستم بأولى منهم بالعافية، ففي مثل هذا تسد الدرائع، وفيه تمثل أوامر الشرع، " انما الصدقات للفقراء". الآية. ولا يتقرب إلى مالك النواصي بالبدع والمعاصي، بل بما يتقرب به الاولياء والصالحون، والأتقياء المفلحون، بكل حلال، وقيام الياني، ومجاهدة النفس في حفظ الأحوال، والأفعال والأقوال، البطن وما حوى، والرأس وما وعى، وآيات تتلى، وسلوك الطريقة المثلى، وحج وجهاد ورعاية

السنة في المواسم والأعياد، ونصيحة تهتدى، وأمانة تؤدى، وخلق على خلق القرن يحدى، وصلاة وصيام، اجتناب مواقع الآثام، وبيع النفس والمال من الله " ان الله اشترى من المومنين" الآية. " وان هذا صراطي مستقيما" الآية. الصراط المستقيم كتاب الله وسنة رسول الله، وليس الصراط كثرة الرايات، والاجتماع للبيات، وحضور النساء والأحداث، وتغيير الاحكام الشرعية بالبدع والأحداث، والتصفيق والرقص، وغير ذلك من أوصاف الرذائل والنقص، " أفمن زين له سوء عمله" الآية. عن المقدام ابن معدي كرب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " يجاء بالرجل يوم القيامة وبين يديه راية يحملها وأناس يتبعونه فيسئل عنهم ويسئلون عنه"، "اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا" الآية. فيجب على من ولاه الله من أمر المسلمين شيئا من السلطان والخلائق، أن يمنعوا هؤلاء الطوائف من الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يدين لله واليوم الآخر أن يحضر معهم او يعينهم على باطلهم، فإياكم ثم إياكم والبدع، فإنها تترك مراسم الدين خالية خاوية، والسكوت على المناكر يحيل رياض الشرائع ذابلة ذاوية، فمن المنقول عن الملل، والمشهور في الاوائل والأواخر، ان البدع والمنكر إذا فشت في قوم أحاط بهم سوء كسبهم وأظلم ما بينهم وبين ربهم، وانقطعت عنهم الرحمات، ووقعت فيهم المثلاث، وشحت السماء وسبحت النقماء، وغيض الماء، واستولت الاعداء،وانتشر الداء، وجفت الضروع، ونقصت بركة الزروع. لان سوء الادب

مع الله يفتح أبواب الشدائد، ويسد طريق الفوائد، والأدب مع الله ثلاثة: حفظ الحرمة بالاستسلام والاتباع، رعاية السنة من غير اخلال ولا ابتداع، مراعاتها في الضيق والاتساع، لا ما يفعله اليوم هؤلاء الفقراء، فكل ذلك كذب على الله وافتراء " قل إن كنتم تحبون الله .." الآية.

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: " وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها العيون،ووجلت منها القلوب، فقام عليه رجل فقال يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فما تعهد إلينا، فقال أوصنا، قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة لمن وليكم وان كان عبدا حبشيا، فانه من يعش من بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجد، وإياكم ومحدثات الامور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وها نحن عباد الله أرشدناكم وحذرناكم وأنذرناكم، فمن ذهب بعد بهذه المواسم أو أحدث بدعة في شريعة نبيه أبي القاسم، فقد سعى في هلاك نفسه، وجر الوبال عليه وعلى أبناء جنسه وتله الشيطان للجبين، وخسر الدنيا والآخرة " ذلك هو الخسران المبين، فليحذر الذين يخالفون عن أمره...الآية"

الزياني، أبو القاسم، الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار العالم برا وبحرا، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، الرباط ، 1967. ص.466

وثيقة رقم 3

قبائل الأطلس المركزي خلال القرن العشرين

القبائل الرئيسية

"تحتل قبيلة آيت سخمان (4000 عائلة) مكانة جد خاصة في الأطلس المركزي بوضعيتها الجغرافية ومواقفها في الماضي. ويمتد مجالها في الأطلس المتوسط والأطلس الكبير، في منطقة واد العبيد، من بني ملال إلى عرف إغيل نمدغاس. وتتكون من ثلاث فخدات :

- آيت عبدي (1600 عائلة)
- آيت داوود وعلي (1600 عائلة)
- آيت سعيد وعلي (800 عائلة)[1]

ينتشر آيت عبدي في الشمال والجنوب في مجال واسع، ويمثل آيت عبدي الملقبون بآيت عبدي كوسر (آيت عفار وآيت خويا احمد) الساكنة

[1] تعتبر آيت سخمان اتحادية مكونة من أربعة قبائل: آيت سعيد وعلي، آيت داوود وعلي، آيت عبدي و آيت حمامة بالإضافة إلى فرقة إمهواش المستقرة بأغبالة و ضواحيها.

الأكثر تخلفا والأكثر فقرا ويقطنون كوسر نفسه والهضبة المحاذية له في الجنوب. ويجبرهم الشتاء جد القاسي على البحث عن ملاجئ في خوانق عقا نتفراوت حيث يتم إيواء القطعان في المغارات.

يحتل آيت بندق خانق أسيف ملول سافلة هضبة البحيرات. وإلى الشمال يحتل آيت عبدي هضبة إسروتة حيث تنتجع قطعانهم خلال الصيف. ويستغلون مناجم ملح تاسرفت ولهم سوق في بوتفردة على الضفة الجنوبية لوادي العبيد. في الشمال من هذا الوادي بنوا أغبالة وتيزي نسلي وتيحونة. ويتصلون بإشقرن وآيت اسري وتقضي قطعانهم الشتاء في أزغار فال.

غرب آيت عبدي يوجد آيت داوود وعلي. موطنهم الأصلي هو وهدة أنركي، هاجروا في اتجاه الشمال وتجاوزوا واد العبيد. وتنتمي إليهم تيكلفت وتيفرت نايت حمزة ولهم سوق على الضفة الشمالية لوادي العبيد في أربعاء آيت أوقبلي. وفي الصيف تنتجع قطعانهم في الهضاب العليا :تنوت نبحور.

يجاور آيت داوود علي آيت سعيد وعلي، مقدمة آيت سخمان في الشمال. عبروا العرف الشمالي للأطلس المتوسط واستقروا بالمنحدرات الصخرية والمشجرة التي تنحدر بشدة من تاسميط إلى بني ملال.

في مجموع الأطلس، تشكل بلاد آيت سخمان المليئة بالخوانق العميقة والمقطوعة بالجبال المرتفعة أكثر المناطق وعورة ومناعة.

إلى الشرق من آيت سخمان يستوطن الأطلس المتوسط بني مطير، زيان، إشقرن، آيت إحند ، بينما ينتشر آيت عياش وآيت يحيى في الأطلس الكبير جنوب ملوية . يشغل بني مطير (1700 عائلة) هضبة الحاجب وانتشروا في السهل إلى أن وصلوا إلى ضواحي مكناس حيث تمر الطريق الرابطة بين مكناس وفاس عبر مجالهم. ويجاورون بني مكيلد في الشمال.

عبر بني مكيلد (4000 عائلة) في بداية القرن الأخير ملوية دافعين أمامهم بني مطير وتقدموا إلى تيريكرا التي نجحوا في تجاوزها عند مرتفع أزرو. وتقطن الفخدات الشمالية غابات أزرو وعين اللوح والهضاب العليا لبقريت. وترعى قطعانهم خلال الصيف في المنطقة الممتدة من هضبة بقريت إلى أداروش عند مرتفع إيطو. تستقر الفخدات التي بقيت في ملوية العليا (آيت وكدير، آيت بوكمان، آيت مسعود) هذا الوادي بين إتزر وأزرزو . وجعلهم موقعهم الجغرافي بين أزرو وتمحضيت سادة إحدى أهم الطرق في الجنوب، الطريق الرابط بين مكناس وزيز عبر تاغزفت وميدلت.

وتساهم غابة الأرز المنتشرة في الجزء الأكبر من مجالهم في وضع عراقيل للولوج إلى بلدهم. ويمكن الاقتراب من الأودية، واد تيريكرا في الشمال عبر هضبة إيطو وملوية في الجنوب عبر ميدلت.

في غرب بني مكيلد، توجد قبيلتان هامتان :زيان في الشمال (6000 عائلة) وإشقرن في الجنوب (2100 عائلة)، تنتشران في الجزء الأوسط من الأطلس المتوسط. يحتل زيان موقعا متميزا وفي وهدة خنيفرة أقاموا عاصمتهم خنيفرة ويراقبون حركة الانتجاع بين السهل والجبل. يستفيدون من مراعي الجبل (جنان إماس، هضبة آيت بومزيل، واد بو إدجي) والأراضي الخصبة بسهل أدخسان والمراعي الشاسعة في الأزغار الذي يؤمن العشب لقطعانهم الكثيرة خلال الشتاء. وتتم زراعة الشعير بوفرة مما يمكنهم من العناية بالخيول الكثيرة التي تشكل أساس قوتهم العسكرية وتفوقهم على القبائل الأخرى. تمكنهم وضعيتهم الجغرافية بين السهل والجبل عند المقاطع المرورية الإجبارية على أم الربيع من تحقيق أرباح هامة بواسطة التجارة. أما الأغنام فهي جد قيمة في أسواق فاس وتشكل ثورتهم الرئيسية. ويعتبر زيان وبني مكيلد من القبائل الأقل استقرارا بالأطلس المتوسط. ويتبعون حسب إيقاع الفصول تحركات قطعانهم بين الأزغار والجبل. يعيشون تحت خيام كبيرة سوداء منسوجة من الصوف وتقل في بلادهم القصبات. جعلتهم ثورتهم وتقاليدهم الحربية من أهم قبائل الأطلس التي لعبت أدوارا طلائعية. في

الشتاء يتجمعون في مخيمات بمنطقة الأزغار، يتصلون بزعير وزمور ويوجدون على مرمى المواصلات بين الرباط ومكناس. وتراقب عاصمتهم خنيفرة الطريق المباشر بين مراكش ومكناس. وهذه الوضعية لا يمكن إلا أن يكون لها وزن كبير في السياسة المخزنية وسياستنا.

بجوار زيان في الجنوب يوجد إشقرن (2100 عائلة) سادة السلسلة المشجرة التي تفصل أسفل واد سرو عن ملوية، وتتحكم في المدخل من تافيلالت إلى ألمسيد فاتحة ممرا من خنيفرة في اتجاه أعلى واد العبيد. وتم اجتثاث فسحات شاسعة في الغابة، يزرعون شمالها السهل الغني الممتد من لندا إلى لهري. ويقع مركزهم في القباب على المنفذ الشمالي للمسلك القادم من ألمسيد والآخر القادم من أزرزو عبر ممر تانوت وفلال الذي يتحكم أيضا في الطريق من خنيفرة إلى إتزر عبر تيزي نرشو. ولهذا فإن إشقرن هم حراس للممرات الرئيسية الرابطة بين أعلى أم الربيع وملوية العليا عبر بلاد إشقرن وآيت إحند. وهم أقل ثراء من زيان ويمتلكون عددا أقل من الخيول وعددا كبيرا من قطعان الأغنام. واكتسب مشاتهم شهرة كبيرة في الجبل.

بين بني مكيلد وتجمع زيان- إشقرن توجد قبائل أقل أهمية من الناحية السياسية:

في الشمال يوجد آيت سكوكو (6000 عائلة) :آيت سيدي علي، آيت سيدي العربي، آيت سيدي عبد العزيز وأميين. يقطنون منطقة عيون أم الربيع. يجاورهم في الشمال بني مكيلد، ويصلون إلى تيريكرا حيث لديهم أراضي زراعية. ونظرا لعلاقة المصاهرة مع زيان فقد خفت حدة الصراع معهم رغم طردهم إلى الشرق من طرف الزيانيين.

وإلى الجنوب توجد القبيلة الصغيرة آيت إحند التي تمكنت من البقاء في واد سرو وسط الغابات الكثيفة.

في مقابل تادلا، يوجد بين زيان وإشقرن في الشرق وآيت سخمان في الغرب، آيت اسري (آيت ويرا، آيت محند، آيت عبد اللولي). ويبلغ عدد العائلات 5000، يشغلون حوض واد درنة والسلسلة الشمالية للأطلس المتوسط من جهة وممر تيزي نايت ويرا من جهة أخرى. في الشتاء ترعى قطعانهم في عالية قصبة تادلا على ضفاف أم الربيع. تشكل القصيبة المركز الرئيسي عند مدخل تيزي نايت ويرا. ولهم أراضي زراعية وقصبات في بونوال وناوور وبن شرو وفي واد درنة وأغزيف. ويمتلكون تاكزيرت المحاطة بالبساتين الجميلة في خانق درنة ويراقبون المسالك الرابطة بين القصيبة وأغبالة من جهة وتيكلفت من جهة أخرى.

وبين آيت اسري وزيان توجد قبيلتان صغيرتان: آيت أم البخت (1200 عائلة) وآيت إسحاق (1400 عائلة) تستقران في السهل بين القصيبة وخنيفرة ، وفي الصيف تصعد قطعانهم إلى الجبل حتى تاوريرت نتعني.

جنوب ملوية العليا ودائما شرق آيت سخمان يوجد آيت يحيى (1600 عائلة) الذين يقطنون الثغرة الفاصلة بين جبل العياشي ومسكر حيث توجد عدة مسالك من ملوية إلى زيز. ويوجد مركزهم في تونفيت وهو سوق هام ومركز لفخدة آيت علي وبراهيم في واد ودغاس. وتقطن فخدة أخرى آيت حنيني مع المرابطين ثغرة سيدي يحيى ويوسف بوعديل. وينتجع قطعان آيت يحيى في الشتاء على ضفاف جنوب ملوية. وتتميز المنطقة الجبلية لآيت يحيى بوعورتها ولا تتصل بالشمال إلا عبر إفجيج ودغاس وأنسكمير المتناقض في تضاريسه مع الوادي السهل والواسع لملوية. في شرق آيت يحيى، تزرع القبيلة الصغيرة آيت عياش واد أنسكمير بينما ظلت إحدى فخداتها في الجنوب على السفح الجنوبي لجبل العياشي. أما القبائل المستوطنة للأطلس المركزي، غرب آيت سخمان، فهم أقل عددا وأهمية كما أنهم أقل أفضلية فيما يتعلق بقطعان الماشية ويملكون عددا قليلا من الخيول وهي قبائل مستقرة ومحاربة.

بين بني ملال وواويزغت توجد فخدة آيت عطا نومالو (1500 عائلة)، مقدمة آيت عطا في الصحراء. وباستقرارها في الشمال أصبحت تراقب ممر غنيم ولهم سوق في واويزغت عند ملتقى المسالك نحو تيلوكيت وأزيلال.

إلى جوارها يوجد آيت بوزيد (1500 عائلة) يقطنون الضفة الشمالية لوادي العبيد ويتجاوزونها في السافلة عند التقاء النهر بواد أحنصال. ويتصلون في الشمال ببني عياط وفي الغرب بآيت عتاب.

جنوب واويزغت توجد قبيلة آيت إصحا (1200 عائلة) تقطن الجبال الفاصلة بين واد العبيد وواد أحنصال. وتمتلك إحدى فخداتها آيت حسين قصبات وأراضي جنوب هذا النهر. مركزهم هو تيلوكيت نايت إصحا، نقطة مرور ضرورية لأحنصال، ويتصل سوق تيلوكيت نايت إصحا الذي تمت إقامته بواويزغت عبر ممر تيزي نايت عيسى ويرتاده سكان آعالي أحنصال. تتميز قبيلة آيت إصحا بتجانسها وأفرادها المحاربين ورماتها الرائعين. ترتبط بها فخدة آيت إسيمور بينما تستقل عنها آيت مازيغ المستقرة في الزاوية المكونة من واد العبيد وأحنصال وهي تابعة لزاوية أحنصال.

جنوب آيت إصحا توجد قبيلتان صغيرتان: قبيلة إحنصالن (200 عائلة) من أصل مرابطي وقبيلة آيت بوكنيفن (200 عائلة) وهي فرع من

اتحادية آيت عطا الصحراوية الكبرى. استقروا في آعالي واد أحنصال والهضبة التي تربط غرب الوادي وجبل تالمست بكتلة أزوركي. ووراء آيت سخمان ودون اتصال مع القبائل السابقة يستوطن آيت حديدو (2500 عائلة) آعالي أسيف ملول الذي تنتشر على ضفتيه زراعة سقوية، كما تم بناء عدد من القصبات ذات الشكل الصحراوي على طول الوادي. وتوجد فخدات لنفس القبيلة على رأس جميع الأودية الصحراوية المتصلة بالحوض الأعلى لأسيف ملول: أمغار (آعالي دادس)، أمتروس (آعالي غريس) إزلاتن وتازارين (آعالي زيز). وتم دفع فخدة أخرى نحو الشمال، آيت عمور التي استقرت بأنفكو في أعلى واد أغدو، أحد روافد واد العبيد. وتفاجأنا بالعناية التي يزرع بها آيت حديدو الأراضي على طول أسيف ملول. وترعى قطعانهم في مراعي صيفية جيدة بهضبة البحيرات. وفي الشتاء ينتجعون في آعالي غريس وتودغة.

يتميز آيت حديدو عن القبائل الأخرى بالتحامهم وعاداتهم وخصوصياتهم. تحالف آيت حديدو مع آيت مرغاد القاطنين بالسفح الصحراوي ويتم اللجوء إليهم خلال الصراع مع آيت سخمان. تكمن أهميتهم في كونهم السادة الرئيسيين للممرات التي تصل آعالي واد العبيد بالأودية الصحراوية عبر أعلى أسيف ملول، مفترق الطرق الرئيسية بالأطلس المركزي.

في أقصى الطرف الشرقي للأطلس الكبير وعلى سفحه الصحراوي تمتد الاتحادية الكبرى آيت يفلمان التي تضم، من بين القبائل الأخرى، آيت يزدك وآيت مرغاد. ينحدر آيت يزدك الشمال من القبيلة التي تحمل نفس الاسم والتي يقطن أغلب أفرادها المنطقة الجنوبية والغربية للسلسلة. تشكل ميدلت المركز الرئيسي للقبيلة. ويحدها شمالا مجرى ملوية عند سافلة أسكا نجدي وجنوبا سلسلة العياشي وشرقا آيت وفلا وغربا آيت عياش. تحولوا إلى مستقرين بعد ممارسة الترحال لفترة طويلة.

على السفح الصحراوي تضم القبيلة الهامة آيت مرغاد 6000 عائلة أغلبيتهم رحل. واستقرت بعض الفخدات بعد صراعات داخلية طويلة لامتلاك المياه. يمتد رحل آيت مرغاد الذين ينتمي إليهم آيت عيسى إزم أشرس الفخدات، من فركلة إلى ملوية حيث توجد عدة أسواق: ميدلت، الريش، سيدي بويعقوب. خلال الصيف يتنقلون بقطعانهم إلى أسيف ملول عند آيت حديدو ويصلون إلى كوسر في أمدغوس وإماس. أما المستقرون فيقطنون القصور الممتدة على طول أودية حوض غريس، واد إفر وإمدغاس. وفي المجمل يعتبر آيت مرغاد من المحاربين الممتازين ولم يخضعوا قط لسلطة المخزن.

وأخيرا قبائل الأطلس المركزي الأكثر أهمية من حيث عدد السكان والثروة وسعة المجال هي:

- في الأطلس المتوسط، من الشرق إلى الغرب : بني مكيلد، زيان، إشقرن، آيت اسري
- في الأطلس الكبير: آيت حديدو وآيت يحيى
- في الأطلس المتوسط والأطلس الكبير: آيت سخمان

- في السفح الصحراوي : آيت مرغاد." من أول يوم إلى آخر يوم للغزو حدد الهدف في كل مرحلة من مراحل التقدم في إخضاع قبيلة أو أكثر، هدف اثني أكثر منه جغرافي. ولا يمكن الحسم فقط بواسطة السلاح، والحل الوحيد هو الشروع في احتلال البلاد منهجيا في انتظار عودة السكان الفارين. وفي حالة الخضوع المباشر ينبغي " التواجد في الأمام وليس خلف البلاد التي نريد السيطرة عليها وإخضاعها، وينبغي كذلك التواجد في الداخل عندما يتعلق الأمر بحماية القبائل المعزولة بعد إخضاعها . ولا نحرس الداخل بل نحرس الأمام " (بوجو). وزيادة على هذا يتخذ الاحتلال صيغ متعددة. قوات متحركة تجوب البلاد باستمرار وقوية بما فيه الكفاية لمنع التعدي من طرف الأعداء وحماية السكان الخاضعين بفعالية أو الاحتلال الثابت بواسطة مراكز

تقام بذكاء، ويوجد في مدى نيرانها المناطق الضرورية لحماية القبائل وصد غارات وهجمات المتمردين.

في الحقيقة وفي كل مكان يفرض التركيب بين هذين الاجراءين نفسه، الدفاع الثابت والدفاع المتحرك. ولا يمكن للقوات المتحركة العمل دون نقط الارتكاز المتمثلة في مراكز التمويل. إلا أن هذه المراكز وكيفما كان عددها لا يمكن أن تمنع جميع المتمردين من أراضيهم الزراعية ومراعيهم. كما أنها لا تشكل سدا منيعا أمام الخصوم. وتمتلك القوات المتحركة قوة عندما تتجمع في أرتال هامة ولكن العدد يظل محدودا دائما. وإذا اكتفت بالتجوال عبر البلاد دون ترك أي أثر تخلي القبائل مواقعها وتنتفض بعد المرور كما كانت تفعل زمن المحلات الشريفية. ولا يمكنها أن تكون في جميع الأمكنة والتدخل في كل المناطق المهددة في الوقت اللازم. ولذلك فهي غير قادرة على حماية السكان الخاضعين بفعالية من هجمات المتمردين.

وإذا قسمت إلى فرق صغيرة تصبح أقل قوة من الخصم. كما أن النظام الهادف إلى مضاعفة المراكز الثابتة لتحقيق دفاع مستمر يتضمن نتيجة خطيرة تتمثل في تجميد أعداد كبيرة من الجنود على حساب القوات المتحركة القادرة على التدخل في حالة تصدع الجبهة. وتتمثل المشكلة في التناسب

الدقيق بين الوسائل المخصصة للدفاع الثابت من جهة والقـوات المتحركـة مـن جهة أخرى. ".

كيوم، أوغسطين ليون، البربر المغاربة وتهدئة الأطلس المركزي، ترجمة محمد العروصي، بني ملال، 2016، ص.117-118.

وثيقة رقم 4

نص معاهدة الحماية

"بناء على اهتمام حكومة الجمهورية الفرنسية وحكومة الجلالة الشريفة، بتأسيس حكم منظم في المغرب قائم على السكينة الداخلية والأمن العام، ومساعد على إدخال الاصلاحات وضمان نمو البلاد الاقتصادي، اتفقت الحكومتان على المواد التالية:

الفصل الأول : اتفقت حكومة الجمهورية الفرنسية مع جلالة السلطان على إنشاء نظام جديد في المغرب يسمح بالإصلاحات الإدارية والقضائية والدراسية والاقتصادية والمالية والعسكرية التي ترى الحكومة الفرنسية فائدة في إدخالها للتراب المغربي.

وهذا النظام (الجديد) سيحفظ الوضعية الدينية وحرمة السلطان ومكانته المعتادة وتطبيق الدين الاسلامي، وسيصون المؤسسات الاسلامية، خصوصا مؤسسات الأحباس كما أنه سيضمن تنظيم مخزن شريف على أساس إصلاحي.

وستتفاوض حكومة الجمهورية مع الحكومة الاسبانية في موضوع المصالح التي لها بالمغرب، من أجل موقعها الجغرافي، وممتلكاتها الأرضية على الشاطئ المغربي.

كما أن مدينة طنجة ستحتفظ بالطابع الخاص الذي اعترف لها به، والذي سيحدد نظامها البلدي.

الفصل الثاني : يقبل جلالة السلطان منذ الآن، أ، تشرع الحكومة الفرنسية بعد إعلام المخزن في الاحتلالات العسكرية التي تراها ضرورية لاستتباب السكينة وتأمين المعاملات التجارية في التراب المغربي، كما أنه يقبل أن تزاول الحكومة الفرنسية كل عمل من اعمال الحراسة برا وبحرا في المياه المغربية.

الفصل الثالث : تتعهد حكومة الجمهورية بأن تبذل لجلالته الشريفة تأييدا دائما ضد كل خطر سيهدد شخصه أو عرشه أو سيقلق راحة إيالته. وستقدم من جانبها نفس التأييد لوارث العرش ولتابعيه من بعده.

الفصل الرابع : سيصدر الأمر من جلالته الشريفة، او من السلطات التي ينيبها جلالته، بالتدابير التي يقتضيها نظام الحماية الجديد طبقا لاقتراح

الحكومة الفرنسية. وكذلك سيجري الأمر في الضوابط الجديدة وتنقيحات الضوابط الموجودة من قبل.

الفصل الخامس : ستمثل الحكومة الفرنسية لدى جلالة السلطان بواسطة مندوب مقيم عام حامل لكل تفويضات الجمهورية في المغرب، وساهر على تنفيذ هذا الاتفاق.

وسيكون المندوب المقيم العام هو الوسيط الوحيد بين السلطان والنواب الأجانب، وبينهم وبين الحكومة المغربية، في العلاقات التي لهم معها، وسيكلف خصوصا بالقضايا التي تهم الأجانب في المملكة الشريفة.

وباسم الحكومة سيصادق على كل الأوامر الصادرة عن جلالته الشريفة، ويأذن بنشرها.

الفصل السادس : سيكلف نواب فرنسا الدبلوماسيون والقنصليون بتمثيل المغرب وحماية الرعايا المغاربة والمصالح المغربية في الخارج.

ويتعهد جلالة السلطان بأن لا يعقد أي عقد ذي صبغة دولية، دون رضى سابق من حكومة الجمهورية الفرنسية.

الفصل السابع : ستحدد حكومة الجمهورية الفرنسية، وحكومة الجلالة الشريفة، باتفاق مشترك، أصول تنظيم مالي يسمح بضمان التزامات الخزينة الشريفة وجباية مداخيل المملكة بانتظام مع رعاية الحقوق المخولة لحامل سندات الديون العمومية المغربية.

الفصل الثامن : يمتنع جلالته الشريفة، من أن يعقد في المستقبل رأسا ، أو بواسطة، أي سلف عمومي أو خصوصي، أو يمنح أي امتياز على أي شكل كان، دون ترخيص من الحكومة الفرنسية.

الفصل التاسع : سيقدم هذا الاتفاق لمصادقة حكوممة الجمهورية الفرنسية، وسترفع وثيقة هذه المصادقة إلى جلالة السلطان في أقصر أجل ممكن.

وإقرارا بما هو أعلاه، حرر الموقعان هذا الاتفاق وختماه بطابعهما.

وحرر بفاس في 30 مارس 1912، موافق 11 ربيع الثاني 1330ه.

توقيع

رينيون سفير فرنسا

توقيع

عبد الحفيظ سلطان المغرب

حركات، ابراهيم، المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء، 2009، ج 3، ص.344

وثيقة رقم 5

ظهير 11 شتنبر 1914

الحمد لله وحده،

ظهير شريف في شأن ما يتعلق بأمور القبايل البربرية بالإيالة الشريفة.

يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره أنه لما كانت القبايل البربرية تتسارع للدخول في طاعة جنابنا الشريف بسبب انتشار الأمن فيهم وكانت لهم عـوايد خصوصية يجرون عليها أعمالهم من قديم ويصعب عليهم الخروج عنها، وكان غرض جنابنا الشريف السعي فيما يسود به الأمن ويعم به الصلاح والاطمئنان في رعيتنا السعيدة اقتضى نظرنا السديد إقرارهم على عوايدهم وتسليم ما يجرونه عليها من أعمالهم ومن أجله أصدرنا أمرنا الكريم بما يأتي:

- الفصل الاول: أن القبايل البربرية الموجودة بإيالتنا الشريفة تبقى شؤونها جارية على مقتضى قوانينها وعوايدها الخصوصية تحت مراقبة ولاة الحكومة.

- الفصل الثاني: تصدر قرارات من الصدر الأعظم بعد الموافقة مع الكاتب العام لدى الدولة الشريفة في تعيين القبايل المتبعة للعوايد البربرية كما يقع تعيين ما ينطبق على تلك القبايل والقوانين والضوابط الصادرة بها، والسلام.

وحرر برباط الفتح في 20 شوال عام 1332 الموافق 11 سبتمبر سنة 1914.

محمد بن محمد الجباص.

اطلع عليه المقيم العام وأذن بنشره.

الرباط في 15 سبتمبر سنة 1914، ليوطي.

الجريدة الرسمية عدد 73 بتاريخ 18 شتنبر 1914

وثيقة رقم 6

ظهير 16 ماي 1930

الحمد لله وحده.

ظهير شريف.

يصبح بموجبه قانونيا مطابقا للأصول المرعية سير شؤون العدلية الحالي في القبائل ذات العوائد البربرية التي لا توجد فيها محاكم مكلفة بتطبيق القواعد الشرعية.

يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره أنه حيث أن والدنا المقدس بالله السلطان مولاي يوسف قد أصدر ظهيرا شريفا مؤرخا في 20 شوال عام 1332 الموافق 11 شتنبر سنة 1914 يأمر فيه باحترام ومراعاة النظام العرفي الجاري العمل به في القبائل التي استتب الأمن فيها وذلك حبا في مصلحة رعايانا واطمئنان دولتنا الشريفة.

وحيث قد صدر للغرض نفسه ظهير شريف مؤرخ في 19 شوال عام 1340 الموافق 15 يونيو سنة 1922 بتأسيس قواعد خصوصية متعلقة بتفويت العقارات للأجانب بالقبائل ذات العوائد البربرية التي لا توجد فيها محاكم مكلفة بتطبيق القواعد الشرعية.

وحيث أن قبائل عديدة قد أدرجت منذ ذلك الحين بطريقة قانونية من طرف وزيرنا الصدر الأعظم في عدد القبائل التي ينبغي احترام ومراعاة نظامها العرفي.

وحيث أنه أصبح الآن من المناسب تعيين الشروط الخصوصية التي ينبغي اتباعها في مباشرة العدلية والقضاء بين من ذكر مع احترام العوائد المذكورة أصدرنا أمرنا الشريف بما يأتي:

- الفصل الأول: أن المخالفات التي يرتكبها المغربيون في القبائل ذات العوائد البربرية بإيالتنا الشريفة والتي ينظر فيها القواد في بقية نواحي مملكتنا السعيدة يقع زجرها هناك من طرف رؤساء القبائل.

وأما بقية المخالفات فينظر فيها ويقع زجرها طبق ما هو مقرر في الفصلين الرابع والسادس من ظهيرنا الشريف هذا.

- الفصل الثاني: أنه مع مراعاة القواعد المتعلقة باختصاصات المحاكم الفرنسوية بإيالتنا الشريفة فإن الدعاوي المدنية أو التجارية والدعاوي المختصة بالعقارات أو المنقولات تنظر فيها محاكم خصوصية تعرف (بالمحاكم العرفية) ابتدائيا أو نهائيا بحسب الحدود (المقدار) يجري تعيينها بقرار وزيري.

كما تنظر المحاكم المذكورة في جميع القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية أو بأمور الإرث وتطبق في كل الأحوال العوائد المحلية.

- الفصل الثالث: أن استـئناف الأحكام الصادرة من طرف المحاكم العرفية يرفع أمام محاكم تعرف بالمحاكم العرفية الاستئنافية وذلك في جميع الأحوال التي يكون فيها الاستئناف مقبولا.

- الفصل الرابع: أن المحاكم الاستئنافية المشار إليها تنظر أيضا في الأمور الجنائية ابتدائيا ونهائيا بقصد زجر المخالفات المشار إليها في الفقرة الثانية من الفصل الأول أعلاه وكذلك زجر جميع المخالفات التي يرتكبها أعضاء المحاكم العرفية التي يطوق باختصاصاتها الاعتيادية رئيس القبيلة.

- الفصل الخامس: يجعل لدى كل محكمة عرفية ابتدائية أو استئنافية مندوب مخزني مفوض من طرف حكومة المراقبة بالناحية التي يرجع إليها أمره ويجعل أيضا لدى كل واحدة من المحاكم المذكورة كاتب مسجل يكون مكلفا أيضا بوظيفة موثق.

- الفصل السادس: أن المحاكم الفرنسوية التي تحكم في الأمور الجنائية حسب القواعد الخاصة بها لها النظر في زجر الجنايات التي يقع ارتكابها في النواحي البربرية مهما كانت حالة مرتكب الجناية.

ويجري العمل في هذه الأحوال بالظهير الشريف المؤرخ في 12 غشت سنة 1913 المتعلق بالمرافعات الجنائية.

- الفصل السابع: أن الدعاوي المتعلقة بالعقارات إذا كان الطالب أو المطلوب فيها من الأشخاص الراجع أمرهم للمحاكم الفرنسوية فتكون من اختصاصات المحاكم الفرنسوية المذكورة.

- الفصل الثامن: أن جميع القواعد المتعلقة بتنظيم المحاكم العرفية وتركيبها وسير أعمالها تعين بقرارات وزيرية متوالية تصدر بحسب الاحوال ومهما تقتضيه المصلحة. والسلام.

وحرر بالرباط في 17 حجة عام 1348 الموافق 16 ماي 1930.

سجل هذا الظهير الشريف في الوزارة الكبرى بتاريخ 17 حجة عامه الموافق 16 مايو سنته.

محمد المقري.

اطلع عليه وأذن بنشره، الرباط في 23 مايو سنة 1930.

القومسير المقيم العام: لوسيان سان.

انتهى نص الظهير.

الجريدة الرسمية عدد 919 بتاريخ 6 يونيو 1930

المصادر والمراجع

بالعربية

الافراني، محمد الصغير، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشادلي، الرباط، 1998.

البكري، أبو عبيد، البيان المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، الجزائر 1911.

ابن زيدان، عبد الرحمن، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، الرباط، 1929.

ابن خلدون، عبد الرحمن،

- تاريخ ابن خلدون، بيروت، 1971

- مقدمة ابن خلدون، بيروت، 1981

بنمنصور عبد الوهاب،

-مجموعة الوثائق، 4 أجزاء، الرباط، 1976-1977

بوشرب، أحمد، دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء اسفي وأزمور، الدار البيضاء، 1984.

التوفيق أحمد، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر: اينولتان (1850-1912)، الدار البيضاء، 1978.

حجي، محمد،الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الرباط، 1964.

حركات، ابراهيم، المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء، 2009.

الخديمي، علال، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب (1894-1910)، حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية، الدار البيضاء،1991

الزياني، أبو القاسم،

-البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، مخطوط الخزانة العامة د1577، الرباط.

-الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار العالم برا وبحرا، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، الرباط ، 1967.

-الخبر عن أول دولة من دولة الأشراف العلويين، تحقيق هوداس، باريس، 1882.

بوسلام، محمد بن البشير، تاريخ قبيلة بني ملال (1854-1916). جوانب من تاريخ دير الأطلس المتوسط ومنطقة تادلا، الرباط، 1991.

بوعياد، حسن، الحركة الوطنية والظهير البربري (1930)، الدار البيضاء، 1979.

عربوش، مصطفى، من تاريخ اقليم منطقة تادلا وبني ملال، الدار البيضاء، 1989.

غلاب، عبد الكريم، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، الرباط، 1987.

الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)، تحقيق أحمد العماري، الرباط،1986.

مارمول، كاربخال، افريقيا، الرباط 1988.

المنصور، محمد، المغرب قبل الاستعمار. المجتمع والدولة والدين، ترجمة محمد حبيدة، الدار البيضاء، 2006.

المنصوري، أحمد، كباء العنبر من عظماء زيان والبربر، تحقيق محمد بن لحسن، الرباط، 2004.

الناصري، أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، الدار البيضاء، 1954-1956

بالفرنسية

Arnaud, Louis, Au temps des mehallas ou le maroc de 1860 à 1912, Casablanca, 1952.

Ayache, Germain,

- Les origines de la guerre du Rif, Rabat, 1981.

-Études d'histoire marocaines, Rabat, 1979.

Catroux (le général), Lyautey le marocain, Paris, 1952.

Berger, François, Moha ou Hammou le zaiani,Marrakech, 1929.

Chanson, capitaine, les jmo et historique régimenta, zouaves et tirailleurs avant 1914 (rapport en notre possession)

Colin, G. S., origine arabe des mouvements de populations berbères dans le Moyen Atlas, Hespéris, vol.25,1938

De la Chapelle, Un document sur la politique du sultan moulay Ismail dans l'atlas, Archives marocaines, vol.28,1932

De Foucauld, Charles, Reconnaissance au Maroc (1883-1884), Paris, 1888.

Drague, G., Esquisse d'histoire religieuse au Maroc, Paris, 1950

Guenoun, said, la montagne berbère, les ait Oumalou et le pays zaian, Rabat, 1933.

Guillaume, Léon Augustin, Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas central (1912-1933), Paris, 1946.

Lacoste, Yves, La géographie, ça sert d'abord à faire la guerre, Paris, 1976.

Lavallée, Théophille, géographie physique, historique et militaire, Paris, 1853

Laroui, Abdallah, les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830-1912), Paris, 1977.

Mezzine, Larbi, Le Tafilalt. Contribution à l'histoire du Maroc aux XVIIè et XVIIIè siècle, Rabat, 1987

Mondelli, Rapport du capitaine Mondelli commandant la 15è compagnie du 3è zouave sur le combat de Ksiba (rapport en notre possession).

Peyronnet, Raymond, Tadla, Moyen Atlas, pays Zaian, Alger,1923.

Rivet, Daniel, Lyautey et l'institution du protectorat français au Maroc (1912-1925), Paris, 1988.

Segonzac, Edmond, voyage Au Maroc (1899-1901), Paris, 1903.

.

الفهرس

مقدمة.....1

I. الأحلاف القبلية والسياسة المخزنية.....8

1. الأحلاف القبلية: حلف آيت عطا وآيت يفلمان.....10

2. الانتجاع وحركة الهجرة.....18

3. السياسة المخزنية.....20

II. المولى سليمان وزاوية إمهواش.....27

1. نفوذ الزاوية وسط قبائل آيت أومالو.....28

2.السياق التاريخي للعلاقة بين المخزن والزاوية.....32

3. السياسة الدينية والقبلية للمولى سليمان

والاصطدام بأبي بكر إمهواش.....34

III. الاحتلال والمقاومة بتادلا والأطلس

الوسائل السياسية والعسكرية.....43

1. الجنود والثكنات.....44

2. الأسلحة.....48

3. الوسائل الاقتصادية والسياسية.....51

4.تصدع الجبهة: استقطاب واستعمال المغاربة.....53

IV. التدخل العسكري بتادلا: المراحل.....62

1. مرحلة الاحتكاك (1907-1912).....64

2. مرحلة التوسع (1912-1914).....69

3. مرحلة استكمال السيطرة (1914-1918).....75

V. مقاومة آيت سيدي علي إمهواش للاحتلال.

معركة تازكزاوت (1932).....80

1. نفوذ إمهواش وانخراطهم في المقاومة.....80

2. فشل سياسة استقطاب سيدي المكي.....83

3. معركة تازكزاوت.....85

VI. الجغرافيا والسلاح. استراتيجية الاحتلال

والمقاومة بتادلا والأطلس المتوسط.....93

1. خصائص الغزو العسكري.....94

2.الجغرافيا والمواجهات العسكرية.....100

3. مصادر وأنواع السلاح.....112

VII. التشريع العرفي والحركةالوطنية.....119

1. السياسة البربرية.....121

2. ردود الفعل.....129

ملحق.....136

المصادر والمراجع.....172